

المواجهة

الصراع مع الشيطان وحزبه

حسن أحمد قطامش



دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض ١١٤٧٢ ص.ب ٧٦١٢ ت ٤٢٥٣٧٣٧

كتب الدراسات الدعوية



حسن أحمد قطامش



دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض ١١٤٧٢ ص.ب ٣٦١٢ ت ٤٢٥٣٣٣٢

ⓗ دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

قطامش، حسن أحمد

المواجهة: الصراع مع الشيطان وحزبه.

٢١٦ ص؛ ١٧ X ٢٤ سم

ردمك ٩-٠٥-٨٠٠-٩٩٦٠

١- الإيمان (الإسلام) ٢- الشيطان والجان ٣- الأدعية والأوراد

أ- العنوان

ديوي ٢٤٣ ١٥/١٦٨٨

رقم الإيداع: ١٥/١٦٨٨

ردمك ٩-٠٥-٨٠٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض: ص.ب: ٧٦١٢ - هاتف ٤٢٥٣٧٣٧ - فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧

«رأيت كل أحد له عدو، فمن اغتابني ليس بعدوي، ومن أخذ مني شيئاً ليس بعدوي، بل عدوي من إذا كنت في طاعة أمرني بمعصية الله، وذلك إبليس وجنوده...

فاتخذتهم عدواً وحاربتهم...».

حاتم الأصم

«والإيمان إنما يقتضي إلقاء الحرب بين ما جاء به الرسول، وبين ما خالفه من طريقة، وعقيدة، وسياسة، ورأي، فمحض الإيمان في هذه الحرب لا في التوفيق».

ابن القيم الجوزية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد . . .

نستطيع القول بأنه قد تباينت الرايات أو أو شكت على ذلك، فلقد عاد اليهود ليهوديتهم والنصارى إلى نصرانيتهم، وعاد المسلمون كذلك إلى دينهم الحنيف.

وعند المسلمين كذلك تباينت الرايات فالعلمانية بخبثها ومكرها والدعاة على أبواب جهنم، قد أعلنوا خروجهم من ربقة الإسلام برفضهم إياه حاكماً ومهيمناً على الأرض . . .

والإسلاميون قد امتلات بهم الأرض نوراً وبركة وخيراً، قد أعلنوا انصياعهم لأمر الله وآلوا على أنفسهم التمكين لدين الله في الأرض ابتغاء مرضاته سبحانه.

وحين تتباين الرايات وتتضح المناهج يظل فريق من الناس حيرى «لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء»

وهؤلاء يقول لهم رسول الله ﷺ: «كما لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينزل الأبرار منازل الفجار، فاسلكوا أي طريق شئتم فأي طريق سلكتم وردتم على أهله»(١).

وهذا التردد لايمنع التميز الذي حدث، والذي يقتضي حتمية المواجهة ﴿**لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً**﴾ [الفتح: ٢٥].

فلم تعد الصحوة الإسلامية مجرد صيحات على المنابر أو مجادلات في المساجد أو تمتمات وهمهمات مختلسة في ظلمة الليل، بل أصبحت

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة/ محمد ناصر الدين الألباني/ دارالمعارف رقم/ ٢٠٤٦.

بديلاً حضارياً للعالم أجمع، أصبحت الطريق الوحيد أمام الجميع بديلاً للنجاة من الكفر والضلال والفساد وخروج الناس عن منهج الله وعن فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وإيماننا بصدق هذه المقولة ليس افتراضياً ولا نتاج نظريات ودراسات إنما هو إيمان بوعد حق من الله سبحانه.

﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً..** الآية ﴾ [النور: ٥٥].

فأمة الإسلام هي الوريث الشرعي الوحيد لهذه الأرض - كل الأرض - إذا استقامت على المنهج، فلا نظام عالمي جديد، ولا تكتلات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو غير ذلك من المزاعم النشاز التي يدندن حولها أصحابها. وهذا يتطلب منا صياغة منهجية قوية وسريعة لهذه المواجهة مع الباطل وأهله يتطلب المواجهة المقروؤة والمسموعة والمرئية البديلة لتلك المناهج الأرضية ممايجعل التباين واضحاً، وكذلك تتضح الأبعاد الحقيقية للبديل الإسلامي أمام جميع المنهزمين والمذبذبين.

بل حتى أمام أهل الباطل عسى الله أن يتوب عليهم.

إن القيام بتلك الصياغة المنهجية يمكن أن يحدث «**استفاضة بلاغية**» لئلا يكون لله على الناس حجة بعد الرسل.

وهذه الدراسة هي واحدة من تلك الصياغات المنهجية في المواجهة مع رأس الباطل وأصله؛ مع إبليس وأوليائه وقد رأيت أن أتوجه بالبحث والدراسة إلى هذا الموضوع لما له - في نظري - من أهمية كبرى وفوائد شتى، منها ثلاث فوائد رئيسية:

أ- **الفائدة الشرعية**: إبعاد الموضوع عن طابع الخرافة والشعوذة لإبرازه قضية واقعية علمية محددة وثابتة بنصوص الكتاب والسنة بحيث ينضبط التصور الغيبي عنها بالتأصيل الشرعي.

ب- **الفائدة النفسية**: وهي معالجة الشعورالإسلامي المتجه نحو الواقع الجاهلي الذي يحيط به لكشف أسراره المجهولة ومعرفة علله الخفية محاولاً تفسير هذه الظواهر ومعرفة مغزاها.

ومن هنا فإن معالجة قضية المواجهة وبيانها شرعاً يفيد أن الشيطان هو الدافع لهذا الواقع الجاهلي، فينضبط التصور الصحيح في الشعور الإسلامي وكذلك فإن هذه المعالجة ستكون حرزاً حقيقياً من الإحساس بالتضاؤل الناشئ عن عدم إدراك أسرار هذا الواقع الجاهلي ودوافعه.

ج - **الفائدة الحركية**: تبدأ بتقرير أن الاستضعاف هو المرحلة التي تعيشها الجماعة المسلمة وأن هذا التقرير يقتضي ارتباط بين المنهج الحركي الاسلامي بالمرحلة التي تعيشها الجماعة، والارتباط بين المنهج والمرحلة لا ينحصر في القضايا المكية التي عايشتها الدعوة قبل التمكين، ولكن يكون بتصور كل قضايا الإسلام من خلال التحديد المنهجي للدعوة.

وعندما خرجت قضية الشيطان من إطار التحديد المنهجي للدعوة تضاءلت وصارت محدودة بغرض التحرز الفردي.

وكذلك عندما افتقدت مهمة التحديد المنهجي للدعوة هذه القضية ضعف التصور الاعتقادي للعوامل الغيبية المؤثرة بصورة مضادة على واقع الحركة الإسلامية(١).

ولهذا فقد حاولت إخراج القضية - قضية الصراع مع الشيطان وحزبه - من طابع التعوذ الفردي والتحرز النفسي إلى واقع يمس كل فرد في

---

(١) عندما ترعى الذئاب الغنم/ رفاعي سرور/ ٣ - ٥ بتصرف، وقد استفدت منه في إشارات جيدة.

الأمة الإسلامية يجد نفسه طرفاً حقيقياً في الصراع والمواجهة مع إبليس وجنده، ويتبين له بهذه الدراسة كيف أن الفساد الذي استطال أهله وانتفشوا لهو من ذلك المعين الإبليسي، فما من شر في الأرض إلا وهو سبب له، ومعلوم أن درج السلم لا بد أن يغسل من أعلى أولاً !!

فبيان المواجهة مع الشيطان وإبرازها قضية واقعية يمكن ضبطها بأصول أهل السنة والجماعة، وإبعادها عن شبح الخرافة والشعوذة والدجل هو مما آليت على نفسي بيانه، وإن بيان الارتباط الوثيق بين إبليس وجنوده من جهة، وبين ما يحدث في واقع الناس من صراعات وصرعات وفتن، كل هذا هو مما يؤكد أهمية البحث والدراسة في هذا الموضوع لتتضح معالم المواجهة وتستبين السبل: سبيل المؤمنين وسبل الكافرين، ويظهر الزبد على كثرته ويعلو حتى يذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس في الأرض.

هذا وقد كانت خطتي في البحث على النحو التالي.

- الفصل الأول: معركتنا مع الشيطان بين الحقيقة والخرافة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الطاغوت الأكبر. وتحته مطلبان:

١- تعريف الطاغوت.

٢- قواعد ضرورية.

المبحث الثاني: بداية الصراع وطبيعته.

- الفصل الثاني: الركائز التي يعتمد عليها الشيطان في حربه.

وفيه مبحثان أيضاً:

المبحث الأول: الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم.

المبحث الثاني: القدر. وتحته ثلاث مطالب.

(١) قدر الابتلاء. (٢) قدر التسلط. (٣) ركائز التسلط.

- الفصل الثالث : ركائز المؤمنين في المواجهة :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : رحمة رب العالمين. وتحته ثلاث مطالب :

(١) بعث الرسل مبشرين ومنذرين. (٢) خلق الملائكة.

(٣) التوبة والاستغفار ومضاعفة الأجور.

المبحث الثاني : التزام الشرع. وتحته مطلبان :

(١) المواجهة بالالتزام الدفاعي. (٢) المواجهة بالالتزام الهجومي.

ثم الخاتمة.

اسأل الله التوفيق والسداد في البحث، وقبل ذلك كله الإخلاص في النوايا والمقاصد ورحم الله امرأ دعا لي بظهر الغيب أو وجد عيباً فنصح لي وأرشدني إلى إصلاحه والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

٢٤/١٢/١٤١٤هـ

* * *



الفصــل الأول

معركتنا مع الشيطان بين الحقيقة والخرافة

* المبحث الأول: «الطاغوت الأكبر».

* المبحث الثاني: «بداية الصراع وطبيعته».



المبحث الأول:

الطاغوت الأكبر

* المطلب الأول: تعريف الطاغوت.

* المطلب الثاني: قواعد ضرورية.

الأولى: خلق الجن ووجودهم.

الثانية: تمثل الجن وتصورهم.

الثالثة: دخول الجن جسم الإنسان وصرعهم له.

المطلب الأول

تعريف الطاغوت(*)

إن الناظر في أقوال أهل العلم سلفاً وخلفاً في معنى الطاغوت يرى أنها تعددت واتسعت بحيث يُظن أنها مختلفة متفرقة، ولكن المتأمل يجدها جميعاً أفراداً لمعنى واحد لا تخرج عنه وهو المعبود من دون الله، فمنهم من جعله الساحر، ومنهم من جعله الكاهن والأصنام وسدنتها، حتى إن البعض جعله النفس حين تطغى فتفسد(١)، ومنهم من جعله علماً على من كان غاية في الشر والفساد(٢)، حتى إنه أطلق على من عُبد من دون الله وهو غير راض بالعبادة كالملائكة والصالحين والأنبياء، وقالوا يطلق عليها من جهة المجاز لكون أن الطغيان حدث للإتصال بها(٣)، وهذا غير صحيح !!!

وعدم صحة هذا المذهب هو أن الرسل والأنبياء والصالحين برآء من ذلك لأنهم أنكروا عبادتهم وحذروا منها وبينوا أن العبادة حق لله وحده سبحانه وتعالى فكلهم أدى ما عليه من البلاغ والبيان (عليهم الصلاة والسلام) فلا يصح أن يطلق عليهم وصف الطاغوت لا حقيقة ولا مجازاً إنما الطاغوت

(*) للمؤلف تحت الإعداد بحث موسع بعنوان: الاستمساك بالعروة الوثقى، وهو مكون من ثلاثة فصول؛ الأول: التأصيل الشرعي للاستمساك بالعروة الوثقى، الثاني: الطاغوت وأثره في الأمة، والثالث: التطبيق العملي للاستمساك بالعروة الوثقى، ونسأل الله التوفيق لإتمامه.

(١) انظر على سبيل المثال/ النكت والعيون/ الماوردي/ ج /١ /٣٢٧، ونظم الدرر البقاعي/ ج/٤/ ٤٦.

(٢) راجع التفسير الكبير / الرازي/ ج / ١٠ / ١٢٩.

(٣) المحرر الوجيز/ ابن عطية/ ج / ٣ / ٢٨٣.

في هذه الحالة هو الشيطان الذي حسن عبادتهم وزينها للعبدة[١][*].

ومع هذا التعدد في التعريف فإن جمهرة كبيرة من العلماء ذهبوا إلى أن الشيطان هو رأس الطواغيت ومقدمهم وإمامهم.

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رؤوس الطواغيت وجعلهم خمسة وجعل في مقدمتها، الشيطان. فقال: ورؤس الطواغيت خمسة أنواع:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله.

الثاني: الحاكم الجائر المغيّر لأحكام الله.

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله.

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله.

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راض بالعبادة[٢].

وممن عرَّف الطاغوت بأنه الشيطان: عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣]،

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله ج٤ / ص٨، ٩ طبعة الرئاسة العامة وإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد.

(*) ومن العجب أن هناك من المعاصرين من عرف الطاغوت تعريفاً لم يُسبق إليه قبل ذلك، وهو المسمى بإبراهيم نافع عندما قال عن شباب الصحوة الإسلامية المباركة أنهم طواغيت!!؟ انظر جريدة الأهرام المصرية العدد/ ٣٩١٥٢ الصفحة الأولى.

(٢) مجموعة التوحيد/ ج/ ١/ ١٥.

(٣) جامع البيان/الطبري/ ج/ ٣/ ١٨ والمحرر الوجيز/ ابن عطية / ج/ ٢/ ٢٨٣، النكت والعيون/ الماوردي/ ج/ ١/ ٣٢٧، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي / ج / ٥/ ١٦١، ومعالم التنزيل/البغوي/ ج/ ٢/ ٢٣٤، والدر المنثور/ السيوطي / ج/ ١/ ٥٨٤، ج ٢/ ٣٠٧، ٣٢٨، وروح المعاني / الآلوس/ ج/ ٢/ ١٢، =

ومجاهد[١]، وأبي العالية[٢]، وقتادة [٣]والضحاك[٤]، والسدي[٥]، والشَعبي[٦]، وابن زيد[٧]، والحسن بن علي[٨]، وأبو اسحاق [٩]، وذكره الجوهري[١٠]، والزمخشري[١١]، والبغوي[١٢]، والرازي[١٣]، وابن تيمية[١٤]، والبقاعي[١٥]، والشنقيطي[١٦]، وعبد الرحمن بن ناصر السعدي[١٧].

= ج٣/٥٥، ج/١٢/٢٥٢، والتفسير الكبير/ الرازي/ ج/٧/١٦، وغرائب القرآن/ النيسابوري/ ج/٣/١٩، وفتح القدير/ الشوكاني/ ج/١/ ٢٧٦، ٤٧٧.

(١) الطبري/ ج/٣/١٨، وابن عطية ج/٢/٢٨٣، والقرطبي/ ج/١٥/١٥٨، والبغوي ج/٢/ ٢٣٤، والسيوطي/ج/ ٢/٣٠٧، ج/٥/٦٠٧، والآلوسي/ج/٢/١٢، ج/٣/٥٥، ج/١٢/٢٥٢، والنيسابوري/ج/٣/١٩، والرازي/ ج/٧/١٦.

(٢) الطبري/ج/٥/١٣١.

(٣) ابن عطية/ج/٢/٢٨٣ والآلوسي/ج/٢/١٢، ١٣، ج /٣/٥٥،ج/١٢/٢٥٢، والرازي/ ج/٧/١٦، والنيسابوري/ ج/٣/١٩، والشوكاني/ ج/١/٤٧٧.

(٤، ٥) الطبري/ ج/٣/١٨، وابن عطية/ ج/٢/٢٨٣.

(٦) الطبري/ ج/٥/١٣١، ١٣٢، وابن عطية/ ج/٢/٢٨٣، والبغوي ج/٢/٢٣٤.

(٧) الطبري/ ج/٥/١٣١، ١٣٢، والقرطبي/ج/١٥/١٥٨، والسيوطي/ج/٢/٣٠٧، وابن عطية/ج/٤/١٤٨.

(٨) الآلوسي/ج/٢/١٢، ج/٣/٥٥، ج/١٢/٢٥٢.

(٩) القرطبي/ج/٥/٢٣٤.

(١٠) القرطبي/ ج/٣/١٨٣ والشوكاني/ ج/١/٢٧٥.

(١١) الكشاف/ج/١/٥٣٥، ٥٢٥، ٥٢١، ٣٠٤.

(١٢) معالم التنزيل/ ج/١/٣١٤، ج/٣/٧٥.

(١٣) التفسيرالكبير/ج/١٠/١٢٨، ١٨٤.

(١٤) اقتضاء الصراط المستقيم/٤٠٣.

(١٥) نظم الدرر/ ج/٤/٤٢، ج/٥/٣٢٩، ج/٦/٢٠٠.

(١٦) أضواء البيان/ ج/١/١٩٩.

(١٧) تيسير الكريم الرحمن ج/٢/٤٧.

المطلب الثاني

قواعد ضرورية

لابد من تقرير ثلاث قواعد هامة وضرورية وهي تتعلق بطبيعة الشيطان وذريته الذين هم خلق آخر يتمثل في أمة الجن، والقواعد هي:

القاعدة الأولى: خلق الجن ووجودهم:

قال الله تعالى: ﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا... الآية**﴾

[الأنعام: ١٣٠].

وقال سبحانه: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾

[الحجر: ٢٧].

وقال عز وجل: ﴿**وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون**﴾ [النمل: ١٧].

وقال عز وجل: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾

[الذاريات: ٥٦].

وروي البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ماحدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ماهذا الأمر الذي حال بينهم وبين

خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة[١] وهو عائد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً وأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿**قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن**﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن[٢].

وروي مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أوأغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: قلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم...»[٣].

وقد بوب البخاري باباً بعنوان: ذكر ثواب الجن وعقابهم، قال ابن حجر: أشار بهذه الترجمة إلى إثبات وجود الجن وإلى كونهم مكلفين[٤]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله

---

(١) وهو مكان بمكة.

(٢) الفتح/ ج/٨/ك التفسير/ ب/ سورة ﴿قل أوحي إليَّ﴾ ٤٩٢١، ومسلم ج/٤/ك/ الصلاة/ ب/ الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن/ص/١٦٧.

(٣) مسلم/ ج/٤/ك/ الصلاة/ ب/الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن/ص/١٧٠.

(٤) الفتح/ج/٦/٣٩٥.

واتفاق سلف الأمة وأئمتها[١]، وثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة، فإن من الناس من رآهم وفيهم من رأي من رآهم وثبت عنده بالخبر واليقين، ومن الناس من كلمهم وكلموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم[٢] ولم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، وأما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين... وهذا لأن الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالإضطرر، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء، فاعلون بالإرادة، بل مأمورن منهيون...، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة، لم يمكن طائفة كبيرة من المؤمنين بالرسل أن تنكرهم[٣] وعلى هذا فجماهير الأمم تقر بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها، ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم[٤]. أ.هـ.

القاعدة الثانية: تمثل الجن وتصورهم:

وروي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتى آتٍ يحثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لارفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج ولي عيال، ولي حاجة شديدة قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله. قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود

---

(١) الفتاوى /ج/٢٤/٢٧٦.

(٢) الفتاوى /ج/٤/٢٣٢، ج/٢٤/٢٨٢.

(٣) الفتاوى ج/١٩/١٠.

(٤) المصدر السابق/ ج/١٩/٣٢.

لقول رسول الله ﷺ، فرصدته، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال، لأعود فرحمته، فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: يا أباهريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله. قال: أما إنه كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت وما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ،ولا يقربنك شيطان حتي تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله. قال: ما هي؟ قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ أما إنه صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب مُنذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال: لا. قال: ذاك شيطان»(١).

قال ابن حجر: ومن فوائد الحديث: أنه قد يتصور الشيطان ببعض الصور فتمكن رؤيته(٢).

وقال: والشيطان الذي تبدى لأبي هريرة كان على هيئة الآدميين(٣).

---

(١) الفتح / ج / ٥ /ك/ الوكالة /ب /إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل / ٢٣١١.

(٢) الفتح: ج / ٤ / ٥٧١.

(٣) الفتح: ج / ٨ / ٦٧٤.

وقال ابن تيمية رحمه الله: والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صورة الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير وفي صور بني آدم كما أتى الشيطان قريشاً في صورة سراقة بن مالك لما أرادوا الخروج إلى بدر، قال تعالى ﴿**وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارلكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم**... الآية﴾ [الأنفال: ٤٨] وكما روي أنه تصور في صورة شيخ نجدي لما اجتمعوا بدار الندوة هل يقتلوا الرسول أو يحبسوه أو يخرجوه كما قال تبارك وتعالى: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾(١)

[الأنفال: ٣٠].

قال العلامة محمد جمال الدين القاسمي: عند قوله تعالى: ﴿**وإذ زين لهم الشيطان**... الآية﴾.

ذكروا في التزيين وجهين:

أحدهما: أن الشيطان وسوس لهم من غير تمثيل في صورة إنسان(٢). وهو مروي عن الحسن والأصم، فالقول على هذا مجاز عن الوسوسة، والنكوص وهو الرجوع استعارة لبطلان كيده.

وثانيهما: أنه ظهر في صورة إنسان لأنهم لما أرادوا المسير وخافوا من بني كنانة لأنهم كانوا قتلوا رجلاً وهم يطلبون دمه، فلم يأمنوهم أن يأتوهم من ورائهم فتمثل إبليس اللعين في صورة سراقة الكناني، وقال: إني جار لكم من بني كنانة فلا يصل إليكم مكروه منهم، وهذا القول الثاني

---

(١) الفتاوى: ج/١٩/٤٥.

(٢) انظر تضعيف هذا القول في المحرر الوجيز: ج/ ٦/ ٣٣٤.

ذهب إليه جمهور المفسرين[١]. أ .هـ.

وقال القاضي أبو محمد رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا** ... الآية﴾، وهذا المكر الذي ذكره الله في الآية هو **بإجماع المفسرين** إشارة إلى إجتماع قريش في دار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي[٢].

وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به إذا كان ميتاً وكذلك قد يكون حياً ولا يشعر بالذي ناداه، بل يتصور الشيطان بصورته فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه، وإنما هو الشيطان، وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون الظن به من الأموات والأحياء، كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم، ويقع لأهل الشرك والضلال المنتسبين إلى الإسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين، يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشعر[٣]، ومن هؤلاء شيخ بمصر أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحد يغسلني فأنا أجئ وأغسل نفسي، فلما مات رأى الخادم شخصاً في صورته فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه فلما قضي ذلك الداخل غسله - أي غسل الميت - غاب، وكان ذلك شيطاناً كان قد أضل الميت، وقال: إنك تجئ وتغسل نفسك، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي الأحياء كما أغوى الميت قبل ذلك[٤].

---

(١) محاسن التأويل: ج/٨/٣٠١٤/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) المحرر الوجيز: ج/٦/٢٧٣ وسيأتي ذكره ص (٨٥).

(٣) الفتاوى: ج/١٩/٤٧، وانظر نحوه: ج/١١/٢٨٧، ٦٦٤.

(٤) الفتاوى: ج/١١/٢٨٨.

القاعدة الثالثة: دخول الجن جسم الإنسان وصرعهم له:

قال تعالى: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**... الآية﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال القرطبي رحمه الله: في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس(١).

وروي البخاري ومسلم وغيرهما من حديث صفية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»(٢).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن أقواماً يقولون: إن الجن لا يدخل في بدن المصروع! فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه، وعقب ابن تيمية على هذا وقال: دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، وهذا الذي قاله الإمام أحمد أمر مشهور، فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضرباً شديداً لو ضرب به جمل لأثر به أثراً عظيماً والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا بالكلام الذي يقوله... وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره ومن أنكر ذلك وأدعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك(٣) وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد! وهذا كثير معروف، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه وكرّه العلماء مناكحة الجن(٤)، وإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ج/٣/٣٥٥.

(٢) انظر تخريجه ص (٥١) حاشية رقم (٢).

(٣) الفتاوى: ج/٢٤/٢٧٧.

(٤) المصدر السابق: ج/١٩/٣٩.

فيها وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر، وتقول: هنيئاً لك ياولي الله، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك، وهذا باب واسع لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير(١).(*)

وتقرير هذه القواعد له أهمية بالغة في فهم كثير من الأمور والأحداث التي حدثت ولازالت تحدث ولا يجد الإنسان لها تبريراً ظاهرياً.. إضافة إلي ضياع هذه المسلمات في حس كثير من الناس مع ذلك التضييع لكثير من مسلمات عقائد المسلمين.

وكذلك فإن هذا التقرير يعين على فهم هذه الدراسة بصورة أعمق بإذن الله.

* * *

(١) الفتاوى: ج/١١/٣٠٠ / ٣٠١.

(*) ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله قاعدة هامة ضبطت اعتقاد وتصور أهل السنة في الرد على أهل الباطل، ومن يزعمون علماً دنيوياً، فهذه مجلة الشرق الأوسط تنشر وعلى عدة حلقات موضوعاً بعنوان «اللامعقول/ خوارق بلا تفسير» د. حسام السكري ويتعرضون فيه لمثل هذه الظواهر التي ذكرها شيخ الإسلام وأشباهها، ولكنهم ما آمنوا بمثل ما آمنا به في هذه المسألة فحارت عقولهم وخارت قواهم في البحث والجهد وراء محاولة تفسير علمي - على حد زعمهم - مما يدعوهم إلى الدعوة العامة لذلك بقولهم: «سيدي القارئ سيدتي القارئة: ندعوكم للمشاركة بالتعليق أو الكتابة لنا عن أية تجارب أو مشاهدات صادفتكم، فكشفت لكم أن العالم الذي نعيش فيه تحكمه قوانين لا يستطيع العلم تفسيرها...» مجلة الشرق الأوسط العدد: ٣٩٣، ومابعده.

المبحث الثاني:

بداية الصراع وطبيعته

بدأت المعركة حين امتنع إبليس عن تنفيذ أمر الله والامتثال له بالسجود لآدم.

﴿ **قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ [الأعراف: ١٢].

لقد جعل إبليس له رأياً مع الأمر وجعل لنفسه حقاً في أن يحكم وفق ما يرى هو من سبب وعلة مع وجود الأمر.. وحين يوجد النص القاطع والأمر الجازم ينقطع النظر ويبطل الفكر(*) وتتعين الطاعة ويتحتم التنفيذ، وهذا إبليس - لعنه الله - لم يكن ينقصه أن يعلم أن الله هو الخالق المالك الرازق المدبر الذي لا يقع شيء في الوجود إلا بإذنه وقدره، لكنه لم يطع الأمر كما صدر إليه.. بمنطق من عند نفسه...

﴿ **قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾.

فكان الجزاء العادل الذي تلقاه لتوه: ﴿ **قال: فاهبط منها، فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾ [الأعراف: ١٣].

إن علمه بالله لم ينفعه، واعتقاده بوجوده وصفاته لم ينفعه وكذلك كل من يتلقى أمر الله ثم يجعل لنفسه نظراً في هذا الأمر يترتب عليه قبوله أو رفضه أو حاكمية في قضية معينة قضى الله فيها من قبل؛ يرد بها قضاء الله في هذه القضية... إنه إذن الكفر مع العلم والاعتقاد، فإبليس لم ينقصه العلم، ولم ينقصه الاعتقاد.!!

لقد طُرد من الجنة وطُرد من رحمة الله، وحقت عليه اللعنة وكُتب عليه الصغار... ولكن الشرير العنيد لا ينسى أن آدم هو سبب الطرد والغضب؛ ولا يستسلم لمصيره البائس دون أن ينتقم، ثم يؤدي وظيفته

(*) لامانع من اجتماع الطاعة مع النظر والتفكير، لتدبر حكمة الآمر ومقاصد الأمر للقياس «الصحيح» فيما لا أمر فيه.

وفق طبيعة الشر التي تمكنت منه.

﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون، قال: إنك من المنظرين، قال: فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾

[الأعراف: ١٤ – ١٧].

فهو الإصرار المطلق على الشر والتصميم المطلق على الغواية وبذلك تكشف هذه الطبيعة عن خصائصها الأولى: شرٌّ ليس عارضاً ولا وقتياً، إنما هو الشر الأصيل العامد القاصد العنيد...

وهنا يعلن إبليس في تبجح خبيث – وقد حصل له البقاء الطويل – أنه سيرد على إغواء الله له، بسبب معصيته وتبجحه، بأن يغوي ذلك المخلوق الذي كرمه الله والذي لُعن وطُرد بسبب عدم السجود له...

إنه سيقعد لآدم وذريته على صراط الله المستقيم يصد عنه كل من يهم باجتيازه وسيغلق طريق الإيمان والطاعات المؤدي إلى رضى الله، وسيأتي البشر من كل جهة ليحول بينهم وبين الإيمان والطاعة...

لقد أُجيب إبليس إلى ملتمسه، لأن مشيئة الله سبحانه اقتضت أن يُترك الكائن البشري يشق طريقة بما رُكب في فطرته من استعداد للخير والشر، وبما وُهب من عقل مرجح، وبما أُمد من التذكير والتحذير على أيدي الرسل، كما اقتضت أن يتلقى هذا الكائن البشري الهداية والغواية وأن يصطرع في كيانه الخير والشر؛ وأن ينتهي إلى إحدى النهايتين، فتحق عليه سنة الله وتتحقق مشيئتة بالابتلاء، سواء اهتدى أم ضل فعلى سنة الله الجارية، ووفق مشيئته الطليقة يتحقق الهدى أو الضلال..

وبعدما رفض إبليس السجود لآدم وأُجيب إلى طلبه طُرد طرداً لا معقب عليه، طرده الله مذموماً مقهوراً وإيعاده بملء جهنم منه وممن تبعه من البشر يضل معه.

﴿قال اخرج منها مذئوماً مدحوراً، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ [الأعراف: ١٨].

ومن يتبعه من البشر قد يتبعه مع معرفته بالله واعتقاده بألوهيته ولكنه يرفض حاكمية الله وقضاءه ويدعي أن له الحق في إعادة النظر في أوامر الله، وفي تحكيم عقله هو في تنفيذها أو عدم تنفيذها... كما أنه قد يتبعه ليضله عن الاهتداء إلى الله أصلاً، وهذا وذلك كلاهما متبع للشيطان وجزاؤهم جهنم مع الشيطان...

لقد جعل الله سبحانه لإبليس وقبيله فرصة الأغواء وجعل لآدم وذريته فرصة الاختبار تحقيقاً للإبتلاء الذي أقتضت مشيئته أن تأخذ بيد هذا الكائن وتجعله به خلقاً متفرداً في خصائصه..

وهنا تتضح حقيقة كبيرة:

إنها جدية المعركة مع الشيطان وضرواتها وأصالتها واستمرارها لقد بدأت القصة بإصرار هذا العدو العنيد على ملاحقة الإنسان في كل حال، وعلى إتيانه من كل صوب وجهة، وعلى اتباعه في كل ساعة ولحظة.

لقد اختار اللعين أن يزاول هذا الكيد وطلب الإنظار لمزاولته على المدى ... اختارهذا على أن يضرع إلى الله أن يغفر له خطيئة التي عصى الله بها جهاراً بعد أن سمعها مواجهة، ثم بيّن أنه سيقعد لهم على طريق الله لا يمكنهم من سلوكه؛ وأنه سيأتيهم من كل جهة يصرفهم عن هداه.

وهو إنما يأتيهم من ناحية الضعف فيهم ومداخل الشهوة، ولا عاصم لهم منه إلا بالتقوى ، بالإيمان والذكر، والتقوّي على إغوائه ووسوسته، والاستعلاء عن الشهوات وإخضاع الهوى لهدى الله.

والمعركة مع الشيطان هي المعركة الكبري . . إنها المعركة مع الهوى باجتناب الهدى والمعركة مع الشهوات باستعلاء الإرادة والمعركة مع الشر والفساد في الأرض باتباع شريعة الله المصلحة للأرض . . والمعركة في الضمير، والمعركة في الحياة الواقعية متصلتان غير منفصلتين، فالشيطان وراءهما جميعاً .

والطواغيت التي تقوم في الأرض لتخضع الناس لحاكميتها وشرعها وقيمها وموازينها وتستبعد حاكمية الله وشرعه والقيم والموازين المنبثقة من دينه . . . إنما هي شياطين الإنس التي توحي لها شياطين الجن، والمعركة معهما هي المعركة مع الشيطان نفسه وليست بعيدة عنها . . .

وهكذا تتركز المعركة الكبرى الطويلة الضارية في المواجهة مع الشيطان ذاته، ومع أوليائه ويشعر المسلم وهو يخوض المعركة مع هواه وشهواته، وهو يخوضها كذلك مع أولياء الشيطان من طواغيت الأرض وأتباعهم وأذنابهم؛ وهو يخوضها مع الشر والفساد والانحلال الذي ينشئونه في الأرض من حولهم، يشعر وهو يخوض هذه المعارك كلها، أنه إنما يخوض معركة واحده جدية صارمة ضارية لأن عدوه فيها مصرٌ ماض في طريقه . . . وأن الجهاد - من ثم - ماض إلى يوم القيامة في كل صوره ومجالاته(١) .

فالفصل في الصراع بين إبليس وأوليائه أمر غير مستساغ وغير مقبول شرعاً وعقلاً فثنائية المعركة قائمة من بداية الخلق إلى اليوم، فنحن في هذا الصراع نواجه عدواً ظاهراً وعدواً غير ظاهر وكلاهما يوحي بعضهم إلى بعض، لتشتد الهجمة وتستمر الحرب، وكما سبق فإن أولى الفوائد لمعالجة قضية الشيطان هي الفائدة الشرعية، والتي تُعني بإبعاد المعالجة من طابع الخرافة والشعوذة ولتبرز قضية واقعية علمية محددة بنصوص الكتاب

(١) انظر : في ظلال القرآن/ ج /٣/ ١٢٦٥ - ١٢٧٥ .

والسنة بحيث ينضبط التصور الغيبي عنها بالتأصيل الشرعي لها...

وما فتئ إبليس وجنده وأولياؤه يحولون قضيتهم إلى طابع الدجل والخرافة لكي يستقر في خلد الإنسان أنه لا توجد معركة حقيقية قائمة بين بني آدم وبين الشياطين حتى وصل الأمر إلى أن أصبح من الأمور المستقرة لدى كثير من الناس أنه لا توجد شياطين أصلاً.

وكم حاولت وسائل الإعلام جاهدة ترسيخ هذا المفهوم الخطير في حس الناس، وتبدأ معهم هذه الخطة الماكرة منذ الطفولة، ويظهر هذا في هذه الأفلام المسماة بأفلام الرسوم المتحركة – الكارتون – حيث يبدأ في الظهور أشباح – على حد زعمهم – تقوم بأعمال خارقة وشريرة ثم ما يلبث «البطل» أن يكتشف أنها إنسان شرير ولا يوجد شيء يسمى أشباحاً...

وإن الطفل عندما ينشأ على هذه المفاهيم التي أُشر بها من الإعلام – علاوة علي ما يحاول أهله غرسه في نفسه بأنه ليست هناك شياطين ليدفعوا عنه الخوف – وقتها ينشأ وقد ضاع في حسه وجود هذا النوع من خلق الله أصلاً فضلاً عن أن هناك معركة قائمة ابتداء.. ثم الأفلام والمسرحيات وغيرها والتي تُظهرشخصية الساحر أو الكاهن الذي يدعي أنه متصل بجان وشياطين، على أنه منتفع ووصولي ودجال ولا صحة لما يدعيه.

ثم هناك دجل شيطاني من نوع آخر ألا وهو تحويل كل ما انتسب إلى الشياطين من نجس ورجس إلى مسميات أخرى تتواكب مع الحضارة المعاصرة...

قال تعالى: ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان**... الآية﴾ [المائدة: ٩٠].

فهذه جملة محرمات نهى الله عز وجل عنها وأمر باجتنابها لأنها من فعل الشيطان وتحسينه وتزيينه وإغوائه، فالخمر هو الخمر والميسر هو اللعب

المحرم والأنصاب هي الأحجار التي يذبح عندها للآلهة والأزلام هي الأقداح التي يضربونها إذا أرادوا سفراً أو عرض لهم أمر ما . . .

يأتي التلبيس العصري فتسمى الخمر بغير اسمها « يشرب أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها »[١] وعند البخاري « يستحلون الحر والحرير والخمر، والمعازف »[٢] بل وتُرخص لها المحال والأماكن والنوادي التي يباح فيها شربها وتناولها وبيعها . . .، على أنها مشروبات روحية. !! والأنصاب وهي جمع نصب، نعم النصب التذكاري، فهذا الأول كان حجراً عادياً تذبح عنده الذبائح تقرباً للآلهة، وذلك الذي نراه حجراً أيضاً ولكنه منقوش مزخرف وبدلاً من أن تذبح عنده الذبائح تقدم إليه باقات الورود تقرباً للجندي المجهول!!!

وأما الأزلام فتطور القدح وتطور القائم على أمره فصار القدح مؤسسات وشركات للأبراج وحظك اليوم وغداً وبعد غد، وصار القائم عليها دكتور أو أستاذ في علم النجوم والأجرام . . . بعد أن كان جلفاً جاهلاً . . . .

فلكل عصر أحواله ولكل عصر الأساليب التي تتوائم معه لكي يتم التلبيس المطلوب ويتحقق الهدف المنشود، وهو إضلال بني آدم عن الصراط المستقيم.

ولهذا وغيره كانت خطورة القضية، فكان لا بد لنا من تأصيل شرعي منظبط لها بنصوص الكتاب والسنة، ثم ربطها بواقعنا لكي تتضح الصورة ويزول التصور الخاطئ الذي ينجم عن هذا الفصل.

---

(١) صحيح سنن النسائي / ك / الأشربة / ب / منزلة الخمر / رقم ٥٢٢٩ وصحيح أبو داود / ك / الأشربة / ب / في الداذي / رقم / ٣١٣٦.

(٢) البخاري مع الفتح / ج / ١٠ / ك / الأشربة / ب / ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه / ٥٥٩٠.



الفصل الثاني

الركائز التي يعتمد عليها الشيطان في حربه

* المبحث الأول: الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم.
* المبحث الثاني: القدر.



المبحث الأول:

الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم

* المطلب الأول: لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً.

* المطلب الثاني: لأقعدن لهم صراطك المستقيم.

* المطلب الثالث: لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم.

قال تعالى: ﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون، قال: فاخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين، قال: رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾

[الحجر: ٣٢ - ٣٨].

«فإبليس قال: رب إذا أخرجتني من السموات ولعنتني فأخرني إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم للموقف يوم القيامة. فقال الله له: فإنك ممن أُخر هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقي، وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم ديّار»(١).

وهذه أيضاً جهلة من جهلاته الخبيثة، سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه، وذلك أنه سأل النظرة إلى قيام الساعة، وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق، ولو أُعطى ما سأل من النظرة كان قد أعطي الخلود وبقاء لا فناء معه وذلك أنه لاموت بعد البعث، لذلك قال جل ثناؤه ﴿إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وذلك إلى اليوم الذي قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء، لأنه لا شيء يبقى غير ربنا الحي الذي لا يموت(٢).

لقد طلب إبليس النظرة إلى يوم القيامة لا ليندم على خطيئته في حضرة الخالق العظيم، ولا ليتوب إلي الله ويرجع ويكفر عن إثمه الجسيم، ولكن لينتقم من آدم وذريته جزاء ما لعنه الله وطرده، فهو يربط لعنة الله له بآدم ولا يربطها بعصيانه لله في تبجح كبير..(٣).

---

(١) جامع البيان: الطبري ج/ ١٤/ ٣٢.

(٢) جامع البيان: الطبري/ ج/ ٨/ ١٣٢.

(٣) في ظلال القرآن: ج/ ٤/ ٢١٤١.

والمقصود أن إبليس أنظره الله إلي يوم الوقت المعلوم، فهو – لعنه الله – حيٌّ الآن منظر إلى يوم الوقت المعلوم بنص القرآن(١).

وبعد أن أُنظر – لعنه الله – صار الإنظار ركيزته التي يعتمدعليها اعتماداً عظيماً للإفساد والإضلال والإهلاك وهذا يتبين من النصوص الآتية:

﴿قال: أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال: فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم، ومن خلفهم وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ [الأعراف: ١٤ – ١٧].

﴿قال: رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال: فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، قال: رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾ [الحجر: ٣٦ – ٣٩].

﴿قال: أرءيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٦٢].

﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾

[ص: ٧٩ – ٨٢].

وفي سورة النساء جاء قوله تعالى بعد طرد إبليس من رحمة الله وإنظاره إلى يوم الوقت المعلوم: **﴿لعنه اللّه، وقال: لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً، ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم، فليبتكن آذان الأنعام، ولآمرنهم فليغيرن خلق اللّه.... الآيات﴾**

[النساء: ١١٨ – ١١٩].

---

(١) البداية والنهاية/ ابن كثير/ ج/١/٥٣.

والذي يُلاحظ من خلال النظر في هذه النصوص أنه لم يأت ذكر للإغواء أو التزيين أو الإضلال إلا بعد أن ذكر الإنظار والإمهال إلى يوم الوقت المعلوم، فيتبين من ذلك صحة ما ذهبت إليه من أن هذا الإنظار ركيزته العظمى التي يعتمد عليها في حربه مع بني آدم ومن خلالها حدد أهدافه ووسائله التي هي منصوصة على لسانه في القرآن الكريم.

* * *

المطلب الأول
لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً

فإنه بعد أن لعنه الله وأخزاه وأقصاه وأبعده من كل خير قال لربه عز وجل إذ لعنه لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً، والمفروض هو المعلوم، ولكن كيف يتخذ إبليس هذا النصيب المعلوم؟

يتخذ منهم ذلك النصيب بإغوائه إياهم عن قصد السبيل ودعائه إياهم إلى طاعته وتزينه لهم الكفر والضلال حتى يزيلهم عن منهج الحق، فمن أجابه في دعائه واتبع ما زينه له فهو من النصيب المعلوم وحظه المقسوم[١]. وقد وجد إبليس من بني آدم من الاستجابة لإغوائه فتحقق ظنه فيهم، قال تعالى ﴿ **ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه**... الآية ﴾.

قال ابن قتيبة: إن إبليس لما سأل الله النظرة فأنظره قال: لأغوينهم ولأضلنهم ولآمرنهم بكذا ولأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً وليس هو في وقت هذه المقالة مستيقناً أن ما قدره فيه يتم، وإنما قاله ظناً، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليه ما ظنه فيهم[٢].

ثم بعد أخذ النصيب المفروض قال: ﴿ **ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**... الآية ﴾ فكأنه يقول: ولأضلنهم ولأصدن النصيب المفروض الذي أتخذه من عبادك عن محجة الهدى إلى الضلال ومن الإسلام إلى الكفر، ولأمنينهم، يقول: لأزيغنهم بما أجعل في نفوسهم من الأماني والبعد عن طاعتك وتوحيدك إلى طاعتي والشرك بك ولآمرن النصيب المفروض لي من عبادك إلى عبادة غيرك من الأوثان والأنداد حتى ينسكوا له ويحرموا ويحللوا له، ويشرعوا

---

(١) جامع البيان: الطبري: ج/٥/٢٨١.

(٢) إغاثة اللهفان: ابن القيم: ج/١/٩٩.

غير الذي شرعته لهم فيتبعوني ويخالفونك، ولآمرنهم فليغيرن خلق الله، وخلق الله الذي أراد إبليس تغييره هو الفطرة على الدين المخلوقة في بني آدم وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه وهي قوله تعالى: ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم...** الآية ﴾.

وإذا كان ذلك معناه دخل في ذلك كل ما نهى الله عنه من خصاء ما لايجوز خصاؤه ووشم مانهى عن وشمه وغير ذلك من المعاصي، ودخل فيه ترك كل ما أمر الله به لأن الشيطان لا شك أنه يدعو إلى جميع معاصي الله وينهى عن جميع طاعته[١].

قال ابن القيم: ومعنى ذلك أن الله فطر عباده على الفطرة المستقيمة وهي ملة الإسلام ولهذا قال ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتجُ البهيمة بهيمة جمعاء – أي سليمة من العيوب –، فهل تحسون فيها من جدعاء – أي مقطوعة الأنف والأذن – حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟ ثم قرأ أبو هريرة ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾[٢].

فجمع عليه الصلاة والسلام بين الأمرين: تغيير الفطرة بالتهويد والتنصير، وتغيير الخلقة بالجدع، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يُغيرهما، فغيّر فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخلقة التي خلقوا عليها، وغير الصورة بالجدع والبتك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخلقة إلى البتك والقطع فهذا تغيير خلقة الروح وهذا تغيير خلقة الصورة[٣].

---

(١) جامع البيان: ج/٥/٢٨١ – ٢٨٥ بتصرف.

(٢) متفق عليه: فتح الباري/ ج/٣/ك/ الجنائز/ ب/ ما قيل في أولاد المشركين/ ١٣٨٥، ومسلم / ك / القدر/ ب/ معنى كل مولود يولد على الفطرة/ ج/١٦/ص/٢٠٧.

(٣) إغاثة اللهفان/ج/١/١٠٦ –١٠٧.

المطلب الثاني
لأقعدن لهم صراطك المستقيم

﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلقهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

هذا هو الهدف الثاني الذي يرمي إليه إبليس اللعين، وهو الصد عن سبيل الله، ولعل في هذا الهدف تتجلى دلائل المعركة...

يقول الشوكاني:

وذكرالجهات الأربع لأنها هي التي يأتي منها العدو عدوه، ولهذا ترك ذكر جهة الفوق والتحت، وعدى بالفعل إلى الجهتين «بمن» وإلى الأخريين «بعن»، لأن الغالب فيمن يأتي من قدام وخلف أن يكون متوجهاً إلى ما يأتيه بكلية بدنه، والغالب فيمن يأتي من جهة اليمين والشمال أن يكون منحرفاً، فناسب في الأوليين التعدية بحرف الابتداء، وفي الأخريين بحرف المجاوزة(١).

وقد وردت نصوص نبوية تدل صراحة على هذا القعود.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله، وقال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه، وقرأ: وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه»(٢).

---

(١) فتح القدير/ الشوكاني / ج/ ٢ /١٩٢.

(٢) رواه أحمد / ج/٣/٤٨٢، والنسائي في الجهاد وابن أبي عاصم/ في السنة عن =

«إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطوّل فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو جهد النفس والمال، فقال: أتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال؟ قال: فعصاه فجاهد»(٢).

فهذا هو القعود بالصراط المستقيم، فلا يجد هذا اللعين باباً إلى الخير إلا وقعد به يصد الإنسان ويرده عنه، كيف لا وهذه هي مهمته، وهذا هو مأربه، فأكد الجلوس بالطريق القويم وذلك هو دين الإسلام، ودين الله الحق، ثم أكد لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فأصدهم عن الحق، وأحسن لهم الباطل.

ومن لوازم هذه الوسيلة التزيين والإغواء والاحتناك.

* * *

= جابر/ ١٦/ والحاكم في المستدرك/ ج/ ٢/ ٣١٨ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(١) صحيح سنن النسائي/ ج/ ٢/ ك/ الجهاد/ ب/ ما لمن أسلم وهاجر وجاهد/ ٢٩٣٧/ عن سبرة بن أبي فاركة، وابن حبان/ ك/ السير/ ب/ فضل الجهاد/ رقم ٤٥٩٣/ انظر الإحسان في تقريب صحيح بن حبان ج/ ١٠/ ٤٥٣.

المطلب الثالث

لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم

﴿**قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض، ولأغوينهم أجمعين**﴾ [الحجر: ٣٩].

﴿**قال أرءيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً**﴾ [الإسراء: ٦٢].

﴿**قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين...**﴾ [ص: ٨٢].

إن المعركة المحتدمة بين الشيطان والانسان على هذه الأرض يرتكز الشيطان فيها على استدراج الإنسان بعيداً عن طريق الله إلى طريق أخرى يزينها ويزخرفها، توصل في النهاية إلى أن تكون الدينونة لغير الله في التشريع والعقيدة والعبادة والتصور والسلوك والنظم، وبهذا تتحقق هيمنة الشيطان على أوليائه وعبوديتهم له، قال تعالى: ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان....**﴾.

أما الذين سلكوا طريق الله ابتداء، واختاروا العبودية لله، فأولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾.

ومفرق الطريق بين الاتجاه إلى الجنة التي وعد بها المتقون، وبين الاتجاه إلى جهنم التي وعد بها الغاوون، هو الدينونة لله وحده، التي يُعبَر عنها في القرآن دائما بالعبادة، وأما الخروج من هذه الدينونة فهو اتباع تزيين الشيطان وإغوائه، إن تزين الشيطان غير جامد ولا ثابت فهو متنوع متجدد يوائم مع كل نفس، ومع كل عصر ومصر...

«فقد يغريك الشيطان بالمرأة عن طريق الرحمة بها، ويغريك بالدنيا عن طريق الحيطة من تقلباتها، ويغريك بمصاحبة الأشرار عن طريق الأمل

في هدايتهم، ويغريك بالنفاق للظالمين عن طريق الرغبة في توجيههم، ويغريك بالتشهير بخصومك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويغريك بتصديع وحدة الجماعة عن طريق الجهر بالحق، ويغريك بترك إصلاح الناس عن طريق الاشتغال بإصلاح النفس ويغريك بترك العمل عن طريق القضاء والقدر ويغريك بترك العلم عن طريق الانشغال بالعبادة، ويغريك بترك الجهاد عن طريق حاجة الناس إليك، ويغريك بترك السنة عن طريق اتباع الصالحين ويغريك بالاستبداد عن طريق المسئولية أمام الله والتاريخ ويغريك بالظلم، عن طريق الرحمة بالمظلومين»[١].

ثم ها هو بعد هذا التزيين والإغواء والإغراء يؤكد على الاستيلاء والاستئصال بلام التوكيد «لأحتنكن».

ويقال احتنك الجراد الأرض: أتى على نبتها وأكل كل ما عليها، واحتنك فلان ما عند فلان : أي أخذه كله[٢].

وصيغة الخطاب توحي بالتهكم والتنقص والاحتقار لبني آدم فكأن إبليس يقول عن المخلوق البشري إنه مخلوق لا يتمالك أمامي فلئن أخرتن إلى يوم القيامة فلأستولين عليهم، وأحتويهم وأملك زمامهم وأجعلهم في قبضة يدي أصرف أمرهم...

ثم أقسم بعزة العزيز الحكيم على إغوائهم، والغي هو الفساد وأغويت الناس: خيبتهم، والغواية: الانهماك في الغي[٣].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لاأبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم...

---

(١) هكذا علمتني الحياة: د. مصطفى السباعي: ج/١/٥٧/المكتب الإسلامي.
(٢) انظر لسان اللسان: ج/١/٣٠٠.
(٣) المصدر السابق: ج/٢/٢٨١.

الحديث »(١).

وهذا الحديث يجلي لنا صفة من صفات هذا الخبيث، وهي أنه لا يمل من الإفساد، فهو قد عرف نهاية المعركة والصراع وعرف أن مصيره هو ومن تبعه، جهنم وبئس المصير، ولذلك تتأبى نفسه الخبيثة عن الراحة والدعة والسكون، بل الحركة الدائبة والعمل المتواصل، والجهد الجهيد والمعاناة، وطول النَفَس وعدم ترك الغواية ليستكثر من الرفقاء في دار العذاب.

وهذا السعي الدؤوب في الإفساد لا ينتهي حتى قيام الساعة، فعند أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « . . . فيبقي شرار الناس، في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولاينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان »(٢). فهو لا يهدأ عن إخراج الناس من دين الله إلى ملة الكفر حتى عند قيام الساعة.

* * *

---

(١) رواه أحمد: ج/٣/٣٩، ٤١/ والحاكم في المستدرك/ج/٤/٢٦١، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) المسند/ تحقيق/ أحمد شاكر/ رقم/ ٦٥٥٥، ومسلم مع النووي ج/١٨/ص/٧٦.



المبحث الثاني:

القدر

* المطلب الأول : قدر الابتلاء .

* المطلب الثاني: قدر التسلط .

* المطلب الثالث : ركائز التسلط.

أولاً : الملأ.

ثانياً : العلماء .

وهذه هي الركيزة الثانية والتي عليها يرتكز إبليس اللعين لإهلاك ذرية عدوه آدم، ونعني بالقدر، ماقدره الله عز وجل من الصراع بيننا وبينه، فكل ما يجري على هذه الأرض هو مما كتبه الله سبحانه وتعالى، والإيمان بقدرية الصراع يغرس في نفس المؤمن الطمأنينة والراحة فكل ما يحدث ليس غائباً عن الله سبحانه وتعالي بل هو جار بعلمه وتحت سمعه وبصره يحيط بكل ما يدور في جولات المعركة الطويلة...

والقدر في الصراع مع الشيطان نوعان ، قدرالابتلاء وهو ماكتبه الله عز وجل اختباراً لعباده، وقدر التسلط، وهو ما جعله الإنسان على نفسه من اتباع سبيل الشيطان فصار له عليه بذلك تسلطاً وقدرة...

المطلب الأول

قدر الابتلاء

قال تعالى: ﴿ **وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك، وربك علي كل شيء حفيظ** ﴾

[سبأ: ٢١].

قال قتادة: إنما كان بلاءً ليعلم الله الكافر من المؤمن(١).

وقال الطبري: وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها، إلابتسليطناه عليهم(٢).

والمعنى: لكن امتحناهم بإبليس، وما سلطناه عليهم إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة(٣).

قال ابن كثير: والمقصود أن إبليس أنظره الله إلى يوم القيامة محنة لعباده واختباراً منه لهم(٤).

ومعنى الآية: أنه لا سلطان له عليهم ولكن ابتليناهم بوسوسته(٥).
ولن نجهد كثيراً في الاستدلال على هذه الركيزة من السنة النبوية فكتب السنة مليئ بذلك، وسيتضح لنا من نصوصها أنه لا تخلو مرحلة في حياة الإنسان من ابتلاء من الشيطان وذريته.

---

(١)، (٢) جامع البيان: ج/ ٢٢/ ٨٨.

(٣) إغاثة اللهفان: ج/ ١/ ٩٩.

(٤) البداية والنهاية: ج/ ١/ ٥٣.

(٥) فتح القدير: ج٤/ ٣٢٣.

* خلق إبليس:

«إن الله لو شاء أن لا يعصى ما خلق إبليس»[١].

* القرين:

«مامنكم من أحد إلا وقد وُكلّ به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإيايّ إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير[٢].

ومن حديث عائشة رضي الله عنها «... أقد جاءكِ شيطانك؟ قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم»[٣].

وعند النسائي عن عائشة رضي الله عنها «مامنكم من أحد إلا ومعه شيطان قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم»[٤].

---

(١) عزاه الألباني في الصحيحة للالكائي في السنة: ج١ / ١٤١، والبيهقي في الأسماء: ١٥٧ والبزار في زوائدة ٢٢٩، وعبد الله بن أحمد في زاوئد الزهد / ص/ ٢٩٨، وقال: وبالجملة فالحديث بمجموع طرقة صحيح لغيره، انظر الصحيحة ج/٢/ص/١٩٥ – ١٩٧ رقم ١٦٤٢.

(٢) مسلم مع النووي: ج/ ١٧ /ص/١٥٧ /ك/ المنافقين/ب/ تحريش الشيطان وبعث سراياه/ ابن مسعود.

(٣) مسلم مع النووي/ ج/١٧ /ص/١٥٨ /ك/ المنافقين/ب/تحريش الشيطان وبعث سراياه.

(٤) صحيح سنن النسائي/ك/عشرة النساء/ب/ الغيرة/رقم /٣٦٦٩.

* النخس عند الولادة:

« ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها »(١).

* الجري مجرى الدم:

« إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم »(٢).

* الوسوسة:

« يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته »(٣).

* العقد على القافية:

« يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى، انحلت عقده كلها فيصبح طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »(٤).

---

(١) الفتح: ج/ ٦/ك/ بدء الخلق/ ٣٢٨٦، ك/أحاديث الأنبياء/ ٣٤٣١، ج/٨/ ك/ التفسير/ ٤٥٤٨/ عن أبي هريرة، ومسلم مع النووي/ ج/١٥/ ك/الفضائل/ص/١٢٠/ أبي هريرة أيضاً، وأحمد في المسند/ مع شاكر/ رقم ٧١٨٢، ٧٦٩٤، ٧٩٠٢، ٨٢٣٧، ٨٨٠١.

(٢) الفتح/ج/٤/ك/الاعتكاف/٢٠٣٥، ٢٠٣٩، ومسلم/ج/١٤/ ك/ السلام/ص/١٥٥، ١٥٦، ١٥٧ صفية، ج/١٥/ ك/ الرؤيا/ص/١٦ - ١٩.

(٣) الفتح/ج/٦/ ك/بدء الخلق/ب/صفة إبليس وجنوده/ ٣٢٦٩/ أبي هريرة، ومسلم/ج/٢/ك/الإيمان/ب/ الوسوسة من الإيمان وما يقوله من وجدها/ص/١٥٣ - ١٥٥.

(٤) الفتح/ج/٦/ ك/بدء الخلق/٣٢٦٩، ومسلم/ج٦/ ك/صلاة المسافرين/ص/١٥٦.

*** البيات على الأنف :-**

« إذا استيقظ - أُراه أحدكم - من منامه فليستنثر ثلاثاً فإن الشيطان يبيت على خيشومه »(١).

*** الحلم :-**

« الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حَلَمَ أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره »(٢).

*** التثاؤب :-**

« التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها ضحك الشيطان »(٣).

*** التواجد بالأسواق :-**

« لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته »(٤).

---

(١) الفتح/ ج/٦/ ك/ بدء الخلق/ ٣٢٩٥، ومسلم/ ج/٣/ك/ الطهارة/ص/١٢٧، وأحمد/٨٦٠٧.

(٢) الفتح/ج/٦/ك/بدء الخلق /٣٢٩٢، ج/١٠/ك./الطب/٥٧٤٧، ج/١٢/ك/التعبير/٦٩٨٦، ٦٩٩٥، ٧٠٠٥، ٧٠٤٤، ومسلم/ج/١٥/ك/الرؤيا/ص/١٦ - ١٩.

(٣) الفتح/ج/٦ /ك/ بدء الخلق/ ٣٢٨٩، ج/١٠/ ك/ الأدب/ ٦٢٢٣، ومسلم/ج/١٨/ك/الزهد/ص/١٢٢، ١٢٣.

(٤) مسلم مع النووي/ج/١٦/ك/فضائل الصحابة/ ص/٧، وهو موقوف.

« يا معشر التجار : إن الشيطان والإثم يحضران البيع فشوبوا بيعكم بالصدق »[(١)].

* ظهور الإبل :-

« على ظهر كل بعير شيطان، فإذا ركبتموها فسموا الله ثم لا تقصروا عن حاجاتكم »[(٢)].

« صلوا في مرابض الغنم، ولا تصلوا في أعطان الإبل، فإنها خلقت من شياطين »[(٣)].

* المرأة :-

« المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان . . . »[(٤)].

قال مجاهد : إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر وإذا أدبرت جلس على عَجُزها فزينها لمن ينظر[(٥)].

« إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن فتنة بني اسرائيل كانت في النساء »[(٦)].

---

(١) صحيح سنن الترمذي /ك . /البيوع /ب /في التجار وتسمية النبي ﷺ رقم/ ٩٦٦ .

(٢) إسنادة حسن رواه الطبراني في الكبير/ رقم ٢٩٩٣، أحمد في المسند ج/ ٣/ ٤٩٤، والدارمي/ ج/ ٢/ ٢٨٥، وابن حبان في صحيحه/ ١٧٠٩ .

(٣) رواه أبو داود في الصلاة/ ب/ النهي عن الصلاة في مبارك الإبل/ انظر صحيح أبي داود رقم ٧٧، وانظر جامع الأصول/ رقم/ ٣٦٦٢ .

(٤) مسلم/ ج/ ١٠/ ك/ النكاح/ ص/ ١٧٧ .

(٥) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج/ ١٢/ ٢٢٧ .

(٦) رواه مسلم ج/ ١٧/ك/ الرقاق/ ص/ ٥٥ .

وقال عليه الصلاة والسلام «ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء»(١).

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء، وقال: ما أخوف شيء عندي من النساء(٢).

والحديث عن الفتنة بالنساء قد يطول، وماذلك إلا لأنهن أكثر أتباعاً للشيطان اللعين فهن حبائله ووسائله لذلك، وكيف لا وقد أخبر النبي ﷺ أنهن أكثر أهل النار وما دخول النار إلا باتباع إبليس وجنده، وما اتباع إبليس وجنده إلا بالتسلط عليهن وما التسلط إلا بكثرة المعاصي والذنوب وتولية هو وحزبه بما يزينون ويحسنون.

«المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»(٣).

*** الحضور عند كل شيء: -**

«إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه»(٤). الحديث.

وعن عبد الله بن دينار قال: خرجت مع عبد الله بن عمر إلى السوق، فمر على جارية صغيرة تغني فقال: «إن الشيطان لو ترك أحداً لترك هذه»(٥)(*).

---

(١) الفتح/ج/٩/ح/٥٠٩٦، ومسلم/ج/١٨/٥٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ج/٤/٢٣٧.

(٣) صحيح سنن الترمذي/رقم/٩٣٦، ورواه الطبراني في الكبير/ج/٣/٦٤، وانظر الإرواء رقم /٢٧٣.

(٤) رواه مسلم ج/ ١٣/ ك. الأشربة ص/ ٢٠٥/ عن جابر.

(٥) صحيح الأدب المفرد/ رقم /٦٠٢.

(*) كثير من الأحاديث التي وردت سيأتي لها مزيد بيان وتفصيل في مواضع أخرى.

وبعد هذا الاستعراض يتبين لنا أن :

١- البلاء بالشيطان هو أمر قدري مرتبط بوجود البشر على الأرض وأن نهايتة لن تكون إلا مع نهاية الحياة على هذه الأرض.

٢- إن البلاء بالشيطان هو كغيره من أنواع البلاء يحتاج إلى الصبر كي يخرج الإنسان برصيد يحسب له لا عليه.

٣- والابتلاء بهذا المعنى السابق، هو الذي لا تجدى معه مواجهة غالباً، وإنما تجدي المواجهة مع التسلط.

٤- والابتلاء بالشيطان يدخل ضمناً في الابتلاء العام من حيث كونه تمحيصاً واختباراً، ليميز الله به الخبيث من الطيب، فليس الخلى كالشجي، وليست النائحة كالثكلى.

وكما قال الشاعر:

والدعاوى إن له تقيموا ... عليها بينات بناتها أدعياء

وقال الآخر:

إن كنت تنوح يا حمام البان ... للبين فأين شاهد الأحزان

أجفانك بالدموع أم أجفان ... لا يقبل مدع بلا برهان

المطلب الثاني
قدر التسلط

قال تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون، إنما سلطانه على الذين يتولونه، والذين هم به مشركون﴾. [النحل: ٩٩، ١٠٠].

وقال سبحانه ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾ [الاسراء: ٦٥].

وقال عز وجل: ﴿وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك، وربك على كل شيء حفيظ﴾ [سبأ: ٢١].

قال ابن القيم رحمه الله معقباً على هذه الآيات:

فتضمن ذلك أمرين:

أحدهما: نفي سلطانه وإبطاله على أهل التوحيد والإخلاص... فهو ليس له طريق يتسلط عليهم به لا من جهة الحجة ولا من جهة القدرة، والقدرة داخله في مسمى السلطان، وإنما سميت الحجة سلطاناً لأن صاحبها يتسلط بها تسلط صاحب القدرة، وقد أخبر سبحانه أنه لا سلطان لعدوه على عباده المخلصين.

الثاني: إثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه، وعلى هذا يكون السلطان ههنا على من لم يؤمن بالآخرة وشك فيها وهم الذين تولوه وأشركوا به فيكون السلطان ثابتاً لا منفياً، وتسلطه عليهم يكون بالإغواء، والإضلال.

والله سبحانه وتعالى، لم يجعل للشيطان على العبد سلطاناً حتى جعل له العبد سبيلاً بطاعته، والشرك به؛ فجعل الله حينئذ له عليه تسلطاً وقهراً(١).

وعلى هذا فإن السلطان الحقيقي لا يكون إلا على المشركين وأهل الولاية الشيطانية، وهي الخضوع للشيطان وشرعه وأمره، واتباع سبله وما يزينه من الشهوات والشبهات ثم الانقياد لما يزينه، والإعراض عن ولاية الرحمن وحزبه ومحاربتهم، وهذه الولاية الشيطانية تتكرر مظاهرها وصورها بحيث لا يتصور وجود لإبليس بدون أولياء، وهذا ما يستبين بعد قليل ولكن يحسن التنبيه، على أن الشيطان في محاولة التسلط لا ينتقي أفراداً بعينهم، إنما يُنْفِذ محاولاته على جميع بني آدم، فمن استجاب له كان من أهل الغواية والولاية الشيطانية وذلك بحسب الاستجابة، وأما من لم يجبه في دعوته ولم يجعل الله له عليه سبيلاً، فينقلب التسلط في حقه بلاءً ترتفع به درجاته عند رب العالمين.

---

(١) إغاثة اللهفان/ج/١/٩٩ - ١٠١ - بتصرف بسيط، وانظر نحوه في أضواء البيان للشنقيطي/ج/٣/٣٥٦ - ٣٥٩.

مظاهر الولاية الشيطانية:

التعريف اللغوي:

الوَلايةُ والوِلاية: النُصرة، يقال: هم على وِلايةٌ أي مجتمعون في النصرة، والوِلايةُ: الإمارة، والمولى: الحليف، وهو من انضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك،وكل من وَليَّ أمراً أو قام به فهو مَوْلاه ووليه، وتولى الشيء: لزمه، والوَلْيُ: القرب والدنو، وتولى العمل: أي تقلد، ودار وَليهٌ: قريبة، والقوم على ولاية واحدة ووَلايةُ: إذا كانوا عليك بخير أو شر، والمولاة: المتابعة، واستولى على الأمر: أي بلغ الغاية، وأستولى فلان على مالي: أي غلبني عليه، واستولى على الشيء: إذا صار في يده، وتولى: أدبر ووَلىّ عنه: أعرض عنه أو نأى، وتوليت فلاناً: أي أتبعته ورضيت به[1].

التعريف الشرعي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والولاية ضد العداوة وأصل الولاية: المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد، وقد قيل إن الولي سميً ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها والأول أصح فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه وينهى عنه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه،كان المعادى لوليه معادياً له[2].

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ:

وأصل المولاة الحب، وأصل المعاداة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصر، والأنس

---

(١) لسان اللسان/ج/٢/٧٦١ - ٧٦٢.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان «ضمن مجموعة التوحيد»/ج/٢/٥٤٠.

والمعاونة وكالجهاد والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال[١].

إن ولاية الشيطان تتعدد مظاهرها وصورها بحيث لا تكاد تنحصر لكثرتها وتشعبها، وإن كان الأصل فيها هو محبة ما يزينه ويحسنه ويدعو إليه من الكفر والضلالات والبدع والمنكرات وسائر صنوف المعاصي، ولعل هذا الضابط – وهو المحبة وما يترتب عليها – هو الفاصل في تحديد نوع الموالاة الشيطانية، فهي إما موالاة كفرية وإما مولاة معصية وشهوة.

قال ابن القيم:

فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه - أي مع الله تعالى - ، بعبادته له، وتوحيد الحب: أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له، فهذا الحب وإن سمي عشقاً فهو غاية الصلاح والنعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله، فلا يحب إلا الله ولا يحب إلا لله[٢].

والمؤمن حقيقة لا يصرفه عن حب الله والإيمان به أي صارف، لا من جهة الشهوة والرغبة، ولا من جهة التخويف والرهبة، والمحبة هي حقيقة الألوهية أو العبودية، ومحبته سبحانه تستلزم طاعته والالتزام بشرعه، أو قل هي كمال الطاعة لكمال المحبة، فالمحبة هي الأصل في العلاقة بين العبد وربه والطاعة ناشئة عنها ولازمة لها.

وكذلك فإن محبة الشيطان والإيمان به تستلزم طاعته فيما أمر ونهى والانسياق وراء ما يدعو إليه من معاداة الله ورسوله وشرعه وعباد الله المؤمنون.

وولاية المعصية هي مالم تصل بصاحبها إلى حد الكفر، إذ الكفر هو

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية / جمع/ عبد الرحمن بن قاسم/ ج/ ٢/ ١٥٧.

(٢) التفسير القيم/ ١٣٩، وانظر فتح المجيد/ ١١٠.

الباب الذي إن ولج فيه المرء صار من حزب الشيطان الذي قال الله فيهم: ﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة: ١٩] وقوله: ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ [الأعراف: ٣٠].

فالذي يتبع الشيطان في معصية صغيره ليس كالذي يتبعه في كبيرة وليس الذي يتبعه في كبيرة كالذي يتبعه في الكفر الأصغر، فهي مراتب متفاوتة، ومالم تبلغ الكفر الأكبر تظل ضمن ولاية المعصية.

ويحسن التنبيه على أن المعاصي هي بريد الكفر فمن تولى الشيطان فيما يحسنه من المعاصي لا يأمن استدراجه إلى الكفر، كما يحسن كذلك بيان أن المرء قد يكفر بمعصية واحدة يزينها الشيطان في عينه وهي صغيرة، حتي يستحلها فيكفر بذلك، فمن استمع الغناء أو حلق لحيته أو سرق أو زنى ثم استحل هذه المعاصي فقد كفر...

وإطلاق الولاية الشيطانية على أصحاب المعاصي لا تلازم بينها وبين كونهم أصحاب الولاية الكفرية، لأن هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك «وقد أجمع العلماء على أن من مكان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بالكفر ولا يخلد في النار»[1] ولكن هذه الخصال خصال أهل الولاية الكفرية، والعاصي يتشبه بأفعالهم وخصالهم فصار مفارقاً لهم من وجه وموافقاً لهم من وجه آخر.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب:

عند كلامه حول حديث آية المنافق ثلاث: وينبغي أن يعرف أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهراً وبين كونه منافقاً باطناً، فإذا فعل

(١) انظر شرح النووي على مسلم/ ج٢/ ٤٦، ٤٧.

علامات النفاق جاز تسميته منافقاً لمن أراد أن يسميه ذلك، وإن لم يكن منافقاً لمن أراد أن يسميه ذلك، وإن لم يكن منافقاً في نفس الأمر، لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الإنسان مخطئاً لا علم عنده أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقاً، فمن أطلق عليه النفاق لم يُنْكر عليه، كما لم ينكر النبي ﷺ على أُسيد بن حضير تسميته سعداً منافقاً مع أنه ليس بمنافق، ومن سكت لم يُنْكر عليه بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين فإنه لا يكون إلا منافقاً(١).

أما الولاية الكفرية فلها مظاهر كثيرة نذكر الآن بعضاً منها:

١- الإعراض عن دين الله والاحتكام إلى أهواء البشر:

قال تعالى ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً**﴾ [النساء: ٦٠].

قال ابن كثير: هذا إنكار على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله... والآية ذامة لكل من عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا(٢).

يقول سيد قطب:

ألم تر إلى هذا العجب العاجب.. قوم.. يزعمون الإيمان ثم يهدمون هذا الزعم في آن؟! قوم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك؟ إنما هم

---

(١) مجموعة التوحيد/ ج/ ١/ ٦٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم/ ج/ ١/ ٥١٩.

يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت... الذي لا يستمد مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ولا ضابط له ولا ميزان مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك.. ومن ثم فهو طاغوت.. طاغوت بادعائه خاصيه من خواص الألوهية، وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزان مضبوط أيضاً، وهم لا يفعلون هذا عن جهل ولا عن ظن، إنما هم يعلمون يقيناً ويعرفون تماماً أن هذا الطاغوت محرم التحاكم إليه «وقد أمروا أن يكفروا به» فليس في الأمر جهالة ولا ظن، بل هو العمد والقصد ومن ثم فلا يستقيم الزعم.. زعم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل عن قبلك، إنما هو الشيطان الذي يريد بهم الضلال الذي لا يرجى منه مآب «يريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً» فهذه هي العلة الكامنة وراء التحاكم إلى الطاغوت، وهذا هو الدافع الذي يدفعهم إلى الخروج من الإيمان بإرادتهم التحاكم إلى الطاغوت، هذا هو الدافع يكشفه لهم، لعلهم ينتهون فيرجعوا، ويكشفه للجماعة المسلمة لتعرف من يحرك هؤلاء ويقف وراءهم(١).

وقال الإمام الطبري:

ألم تر يا محمد بقلبك فتعلم الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت، وهو من يعظمونه ويصدرون عن قوله ويرضون بحكمه من دون الله وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكمون إليه، فتركوا أمر الله واتبعوا أمر الشيطان، وهو يريد أن يصد هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى فيضلهم عنها ضلالاً بعيداً، فيجور بهم جوراً شديداً(٢).

---

(١) في ظلال القران / ج / ٢ / ٦٩٤.

(٢) جامع البيان / ج / ٤ / ١٥٢.

يقول تعالى: ﴿ **إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم** ﴾ [محمد: ٢٥، ٢٦].

يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى والإيمان على أعقابهم إلى الضلال والكفران، ذلك لاعن دليل ولا برهان، وإنما هو تسويل من عدوهم الشيطان وتزيينه لهم وإملاء منه لهم، وذلك لأنهم قد تبين لهم الهدى فزهدوا فيه ورفضوا، وقالوا للذين كرهوا ما نزل الله من المبارزين العداوة لله ورسوله سنطيعكم في بعض الأمر الذي يوافق أهواءهم فلذلك عاقبهم الله بالضلال والإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي(١).

٢ ـ موالاة أهل الكفر أعداء الإسلام:

إن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين من الكفار والمنافقين الذين لايؤمنون بالله ورسوله ﷺ، وأمرهم بجهادهم والإغلاظ عليهم بالقول والفعل وتوعد الله هؤلاء الكفار والمنافقين باللعن والقتل كقوله: ﴿ **ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً** ﴾ [الأحزاب: ٦١] وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم، وكيف يدعي رجل محبة الله وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا الشياطين على عداوتهم واتخذوهم أولياء من دون الله(٢).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكافرين وشدد في ذلك وأخبر أن من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن / ج/ ٥ / ٣٥.

(٢) مجموعة التوحيد/ ج/ ١ / ١٤٣ / رسالة أوثق عرى الإيمان.

تولاهم فهو منهم وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ ويفهم من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور من فعلها دخل في تلك الآيات وتعرض للوعيد بمسيس النار نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

أحدها: التولي العام.

الثاني: المودة والمحبة الخاصة.

الثالث: الركون القليل قال تعالى: ﴿**ولولا أن ثبتناك لقدكدت تركن إليهم شيئاً قيلاً، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً**﴾ [الإسراء: ٧٤ – ٧٥].

فإذا كان هذا الخطاب لأعظم مخلوق صلاة الله وسلامه عليه فكيف بغيره؟

الرابع: مداهنتهم، ومداراتهم، قال تعالى ﴿**ودوا لو تدهن فيدهنون**﴾ [القلم: ٩].

الخامس: طاعتهم فيما يقولون، وفيما يشيرون كما قال تعالى: ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**﴾ [الكهف: ٢٨].

السادس: تقريبهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام.

السابع: مشاورتهم في الأمور.

الثامن: استعمالهم في أمر من أمور المسلمين، أي أمر كان، إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك.

التاسع: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

العاشر: مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم.

الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة.

الثاني عشر: الإكرام العام.

الثالث عشر: استئمانهم وقد خونهم الله.

الرابع عشر: معاونتهم في أمور ولو بشيء قليل، كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

الخامس عشر: مناصحتهم.

السادس عشر: اتباع أهوائهم.

السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم.

الثامن عشر: ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم سادات وحكماء، كما يقال للطاغوت: السيد فلان أو يقال لمن يدعى علم الطب: الحكيم ونحو ذلك(١).

وقال الشيخ سُليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القباب والشرك بعد ما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله؟! فإنه لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك إلا المكره(٢).

---

(١) مجموعة التوحيد: ج/١/١٥٤ - ١٥٥.

(٢) حكم موالاة أهل الشرك «ضمن مجموعة التوحيد»/ج/١/٣٣٣.

قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾ [الممتحنة: ١ - ٢].

وقال الشيخ حمد بن عتيق النجدي:

إن من يتولى أعداء الله ويلقي إليهم بالمودة ويُسِر إليهم فقد أخطأ الصراط المستقيم وخرج عن طريق الصواب، وإن هؤلاء إن قدروا على المسلم واستولوا عليه ساموه سوء العذاب بالضرب والقتل وبالكلام الغليظ(١).

وقال الإمام ابن عطية الأندلسي:

في تفسير قوله تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾ [الممتحنة: ٢]. «إن يتمكنوا منكم وتحصُلوا في ثِقَافِهِم ظهرت العداوة وانبسطت أيديهم بضرركم وقتلكم وألسنتهم بسبكم وهذا هو السوء وأشد من هذا كله أنهم إنما يقنعهم منكم أن تكفروا وهذا هو ودهم»(٢).

وصدق الباري جل وعلا فهذا حال المسلمين اليوم لا يخفى على أحد وقد وقع كثير منهم في موالاة أعداء الله من يهود ونصارى وسارعوا فيهم إلا من رحم الله وما أسروا بالمودة، بل أعلنوها وأصروا على إعلانها وبيانها

(١) سبيل النجاة والفكاك من موالاة أهل الإشراك «ضمن مجموعة التوحيد» / ج / ١ / ٣٣٣.

(٢) المحرر الوجيز / ج / ١٤ / ٤٠٠.

وأنها من ضرورات الحياة والتعايش السلمي مع الشعوب وموافقة للنظام العالمي الذي يريد اليهود والنصارى فرضه علي المسلمين، وعندما تمكنوا منهم استباحوا أعراضهم وأراقوا دماءهم وأزهقوا أرواحهم واستولوا على ديارهم وأرضهم وهذا حال كثير من بلاد المسلمين، فهذه البوسنة، وتلك كشمير، وفي بورما يئن المسلمون من وطئة البوذين الملاعين وتعالت صيحات أقليم قره باخ وأذربيجان وباقي الجمهوريات الإسلامية وكذا الفلبين وهذه أفريقيا السمراء يراد لمسلميها كل يوم الموت بألف لون ولون، مع ذلك نجد الكثيرين ممن ينتسبون إلى الإسلام يسارعون فيهم فحسبنا الله ونعم الوكيل.

٣- محاربة دعوة الحق:

ومن مظاهر الولاية الشيطانية الجلية، محاربة دعوة الحق، وإن منشأ العداوة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان هي في اختلاف المنهجين، فأما الذين آمنوا فيتبعون المنهج الرباني، والشرع المحمدي وأما الذين آمنوا بالشيطان وكفروا بالله فقد اتبعوا ما زينه وحسنه وأغواهم به وأضلهم عن سواء السبيل، وإن مواجهة حزب الشيطان لحزب الرحمن بالاضطهاد والمحاربة التي يتولى كبرها الملأ في كل زمان ومكان لا تخفي على أحد، فهي من أبرز معالم حزب الشيطان وسيأتي ذلك عبر مواضع عدة في هذه الدراسة.

٤- الدعوة إلى البدع والضلالات:

والبدع والضلالات لا تنقضي ولاتنتهي فالدعوة إليها وإلى إتباعها وسلوك طرقها ولزوم منهجها ونسكها بحيث يُعْرِض بها عن دين الله ولزوم الشرع الحكيم والطريق القويم، ومعاداة أوليائه والصد عن سبيل الله سواء أكانت هذه البدع والضلالات في العقائد والأفكار أو الثقافة أو السياسة أو الحكم أو التشريع أو الفنون أو الرياضة أو أي شيء يخالف دين الله عز وجل

فإن الداعي إليها والمتبع لها عن طواعية واختيار هو من أهل الولاية الشيطانية الكفرية.

فأهل القباب الذين جعلوا كعبتهم قبر فلان يطوفون حولها وينذرون لها ويذبحون لها وعندها، ويتوسلون بمن فيها ويستغيثون بهم ومع ذلك هم يعادون أرباب الطريقة المحمدية والدعوة الربانية ويشنعون بهم ويتهمونهم في عقائدهم السليمة وأفكارهم النقية ما هم إلا أهل الولاية الشيطانية التامة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

إن من يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ، ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ولا يخلص الدين لرب العالمين أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن، فهذه علامات أو لياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن[١]. وكذلك السحرة والكهان هم من أعظم أولياء الشيطان وقد بسطنا الكلام عنهما في غير موضع مما يغني عن ذكره هنا (*).

وأهل الفكر والثقافة والأدب والفن والسياسة والرياضة وغيرهم، من دعى منهم في مجاله أو غير مجاله بقلمه أو لسانه أو حاله إلى ما يضاد به حكم الله وشرع الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ويعادي أولياء الله ويسخر منهم ويستهزئ بهم ويسمونهم سوء العذاب فلا يشك عاقل في أنه من أهل الولاية الشيطانية الكبرى.

ولعل مرجع ذلك إلى أمر هام يجب التنبيه عليه ألا وهو اختلاف

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان « ضمن مجموعة التوحيد » / ج / ٢ / ٥٩١.

(*) سيأتي بعد قليل إن شاء الله.

الطريقين واختلاف المنهجين واختلاف الوحيين، فهذا دين الله وهذا دين الشيطان.

فروى الطبري بسنده عن أبي زميل قال: كنت قاعداً عند ابن عباس فجاءه رجل من أصحابه، فقال يا ابن عباس، زعم أبو اسحاق أنه أوحي إليه الليلة - يعني المختار بن أبي عبيد - فقال ابن عباس: صدق، فنفرت فقلت: يقول ابن عباس صدق؟ فقال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله ووحي الشيطان فوحي الله إلى محمد، ووحي الشياطين إلى أوليائهم(١) فهذا منشأ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فمن أعرض ونأى بجانبه عن شرع الله فليس له إلا شرع الشيطان وسنته.

* * *

(١) جامع البيان/ج/٨/٢٠.

المطلب الثالث
ركائز التسلط

كما أن إبليس في معركته يرتكز على ركائز، منها قدر التسلط، فإنه كذلك في هذه الركيزة يعتمد في زيادة الغواية والإفساد على أهل السلطان، ونعني بالسلطان، سلطان القدرة وسلطان الحجة، أي «الملاء، والعلماء».

فإنه عندما اهبط آدم وإبليس إلى الأرض وكان (بعضهم لبعض عدو) عندها بدأت المعركة الأبدية التي دارت رحاها بشدة بعد عشرة قرون على التوحيد كما قال ابن عباس رضي الله عنه: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على شريعة من الحق»[١] وعلي الرغم من هذه الفترة الطويلة من الاستقامة لم ينس إبليس مهمته التي طلب من أجلها الإنظار والإمهال، لم ينس أن يُعبّدَ الناس لشرعه وأمره وترك عبادة الله الواحد الأحد، وكان في قوم نوح – عليه السلام – رجال صالحون وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً...** ﴾ [نوح: ٢٣].

و.. «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن نصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسخ العلم، عُبدت»[٢].

---

(١) رواه الحاكم وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه/المستدرك/ج/٢/٤٤٢، وقال الهيثمي رواه البزار وفيه عبد الصمد ووثقه ابن معين، وقال غيره: ليس بالقوي، مجمع الزوائد ج/٦/٣١٨.

(٢) الفتح/ ج/٨/ك/ التفسير/ب/سورة نوح/ رقم /٤٩٢٠.

قال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صور تماثيلهم؛ ثم طال عليهم الأمر فعبدوهم(١).

وروي الطبري بسنده عن محمد بن قيس قال: «كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دّب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسْقون المطر فعبدوهم»(٢).

وبمجموع الروايتين رواية الطبري، ورواية البخاري يتضح أن إبليس أتى الفرقين.. أتباع الرجال الصالحين، وأتى الذين جاءوا من بعدهم عندما هلكوا ونُسخ العلم، فعبد الناس الطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر...

عند هذا... بعث الله عز وجل نوحاً عليه السلام رحمه للعباد فكان أول رسول بُعث إلى أهل الأرض يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه، فقال لقومه: ﴿... **يا قوم اعبدوا اللّه مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكما أرسل الله نوحاً – عليه السلام – إلى قومه بهذه الدعوة المباركة، أرسل كذلك رسلاً إلى قومهم مبشرين ومنذرين، يحذرون قومهم من عبادة غير الله، والتي يأمر بها الشيطان ويحسنها ويزينها ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾ [فاطر: ٢٤].

وكانت الدعوة واحدة لا تتغير ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت**﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) مجموعة التوحيد/ ج/ ١/ ٢٣٠.

(٢) جامع البيان/ ج/ ٢٩/ ٩٩.

والطاغوت هنا الشيطان وكل ما عبد من دون الله، وهنا عَلمَ إبليس اللعين أن هناك من يتصدى لدعوته الخبيثة ويواجهها، إنهم رسل الله وحزبه وأوليائه، فاشتد في المعركة وجند جنوداً وحزب أحزاباً وجمع كل شيطان مريد من إنس وجن لمواجهة هذه الدعوة المباركة، فانقسم الناس إلى حزبين، حزب الله، وحزب الشيطان، وهاهي ملامح المواجهة يعرضها القرآن للعبرة والاستفادة . . .

١- ﴿ **لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ [الاعراف: ٥٩].

٢- ﴿ **وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره . . .** ﴾ [الأعراف: ٦٥].

٣- ﴿ **وإلي ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره . . .** ﴾ [الأعراف: ٧٣].

٤- ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره . . .** ﴾ [الأعراف: ٨٥].

٥- ﴿ **وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين . . .** ﴾ [الأعراف: ١٠٤].

٦- ومحمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ **أن لا تعبدوا إلا الله إني لكم منه نذير وبشير . . .** ﴾ [هود: ٢٤].

فهذا موكب الإيمان وجند الرحمن الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،وأما الشيطان وحزبه وأوليائه وركب الكفر والضلال فقد كانوا هم الملأ . . .، وهاهي ملامح المواجهة . . .

١- ﴿ **قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين . .** ﴾

[الأعراف: ٦٠].

٢- ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ [الأعراف: ٦٦].

٣- ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه...﴾ [الأعراف: ٧٥]... ﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ [الأعراف: ٧٦].

٤- ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا، أو لتعودن في ملتنا...﴾ [الأعراف: ٨٨].

٥- ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم..﴾

[الأعراف: ١٠٩].

٦- ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾ [ص: ٦].

ثم يخبر تبارك وتعالى أنه كما أن دعوة الرسل واحدة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما سواه، فإن دعوة الملأ واحدة وهي الكفر بالله وعبادة ما سواه ومواجهة رسل الله وحزبه.

﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ [الذاريات: ٥٢ - ٥٣].

فصفة هؤلاء الملأ هي الطغيان، وعلى الرغم من تباعد الأزمان واختلاف المكان إلا أن صفة المواجهين للرسل ولدعوة الله هي صفة الطغيان، ويعجب المرء لذلك، ولكن التعجب يزول حين يعلم أن المعركة يقودها قائد واحد، وهو إبليس، وهو رأس الطواغيت وكبيرهم، فطغيان قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح أو طغيان كل ملأ واجهوا دعوة الله مستمد من ذلكم الموجه والقائد للمعركة، ولهذا كان لا بد من الربط بين أفعال أولياء الشيطان من القديم إلى الحديث حتى تتبين الحقيقة من الخرافة ويتحدد لدينا التصور الغيبي للقضية بضوابط منهجية شرعية والعجيب أن التهم الموجهة للرسل واتباعهم هي تهم شيطانية كذلك، فالسحر، والجنون،

والكهانة، والشعْر، كل هذه تهم مرتبطة بالشياطين،وعلة ذلك: أن النفس البشرية بفطرتها تنفر من الشياطين وكل ما يُنسب إليها، فحين تُوَجه للرسل والدعاة مثل هذه التهم تتلازم معها النفرة الفطرية وهذا من خبث مكر إبليس اللعين وجنده...

وأهل السلطان، اتكأ عليهم إبليس لإتمام مهمته فتسلط على الملأ، وحاول التسلط على العلماء.

الركيزة الأولى: الملأ :-

والملأ هم أولئك العلية من القوم، وجوههم، وأشرافهم، ساداتهم وزعماؤهم المستكبرون في الأرض بغير الحق، ويريدون علواً في الأرض وفساداً، يجتمعون على رأي واحد وهو الصد عن سبيل الله تعالى والتصدي للأنبياء والرسل، وحرب الدعاة إلى الله تعالى، فيتمالأون على ذلك ويجتمعون ويتعاونون مع بطانة سوء لهم، امتلأت نفوسهم بما يحتاجون إليه إلى درجة ما لا مزيد عليها، فقد.. ابشموا بالمال والترف والجاه والزعامة والسيادة والمكانة في قومهم فأصبحوا يملؤون العيون رواءً ومنظراً، والنفوس بهاءً وجلالاً، ونادي القوم، أو المجلس – إذا حضروه وتصدروه – هيبة ومكانة ويعظمون في عيون من يرونهم، إليهم ترجع العامة في القول والرأي، وعليهم تعقد الخناصر، وتشير الأصابع إليهم، فأصبحت كلمتهم كلمة الفصل المسموعة، ورأيهم رأياً سديداً مطاعاً، وإشاراتهم أمراً نافذاً، يقولون فلا معقب على قولهم، ويتكلمون فتلجم أفواه غيرهم وتنعقد الألسنة، يرون الرأي فليس لأحد وراء رأيهم في قضية صغيرة أو كبيرة داخلية أو خارجية. يظلمون غيرهم فيكون ظلمهم عدلاً، ويتسلطون على أرواح الناس وعقولهم فيكون هذا كله حقاً لهم، وديناً في أعناق غيرهم تحقيقاً لمصالحهم الشخصية ودوافعهم الذاتية وأهوائهم الجامحة ومطامعهم الكثيرة.... أولئك هم الملأ من كل قوم...[١].

فهؤلاء الملأ هم الأشراف والكبراء الذين اتبعوا أهواءهم والتهوا بلذاتهم فلما أتاهم الحق ورأوه غير موافق لأهوائهم ردوه واستكبروا عنه وهم في الغالب الأغنياء المتبوعون الذين جرت العادة باستكبارهم عن الحق وعدم إنقيادهم للرسل.

---

(١) تعريف الملأ في الفكر الإسلامي / عثمان جمعة ضميرية / مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامي بلندن / العدد الرابع / ص ٢٧، ٢٨.

ومن كانت هذه صفاتهم وطباعهم فحري بإبليس وجنده أن يعتمدوا عليهم في حربهم مع رسل الله والدعاة إليه سبحانه، وقد ارتكز إبليس على وسائل للإفساد بها في ملأ أوليائه نذكر بعضها.

الوسائل التي ارتكز عليها إبليس للإفساد في ملأ أوليائه

أ- المرأة :

فقد اعتمد إبليس على الفتنة بالمرأة للإغواء والإفساد وقصص القرآن حافل بنماذج من هذا الافتتان .

*** فتنة الشيطان لقوم ثمود بالمرأة :**

ذكر ابن جرير وغيره من علماء السلف أن امرأتين من ثمود، أحدهما «صدوق ابنة المحيا بن زهير بن المختار» وكانت ذات حسب ومال، وكانت تحت رجل من أسلم ففارقته، فدعت ابن عم لها يقال له «مصرع بن مهرج بن المحيا» وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة.. واسم الأخرى «عنيزة بنت غنيم بن مجلز»، وتكنى أم عثمان، وكانت عجوزاً كافرة لها بنات من زوجها «ذؤاب بن عمرو»، أحد الرؤساء فعرضت بناتها الأربع على «قدار ابن سالف» إن هو عقر الناقة، فله أي بناتها شاء، فانتدب هذان الشابان لعقرها وسعوا في قومهم بذلك، فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿**وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون..**﴾ [النمل: ٤٨].

وسعوا في بقية القبيلة وحسنوا لهم عقرها فأجابوهم إلى ذلك وطاوعوهم في ذلك، فانطلقوا يرصدون الناقة، فلما صدرت من وِرْدها كَمَنَ لها «مصرع» فرماها بسهم فانتظم في عظم ساقها. وجاء النساء يزمرن القبيلة في قتلها وحسرن عن وجوههن ترغيباً لهم فابتدرهم «قدار بن سالف» فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة إلى الأرض[1].

---

(١) انظر تفسيرالطبري/ ج/١٢/ ٥٣١ – ٥٣٤/تحقيق/ محمود شاكر، خرج أحاديثه/ أحمد شاكر، والبداية والنهاية/ابن كثير/ ج/١/١٢٧/ والكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ج/١/٥١ – ٥٢.

وقدار بن سالف هذا كان أيضاً من الملأ، فعن أبي زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب، وذكر الناقة والذي عقر فقال رسول الله ﷺ «إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة»(١).

قال ابن كثير: فلما كان في بعض الأعصار خطب رئيساً من رؤساء القوم على ابنة آخر مثله في الرياسة، فزوجه، فولد بينهما عاقر الناقة وهو «قدار بن سالف»، فنشأ فيهم نشأة سريعة فكان يشب في الجمعة كما يشب غيره في شهر حتى كان أمره أن خرج فيهم مطاعاً ورئيساً بينهم فسولت له نفسه عقر الناقة(٢).

فالمرأة التي حرّضَت «مصرع» زوجة أحد الرؤساء والتي حرّضَت «قدار» أيضاً زوجة أحد الرؤساء، «وقدار بن سالف» من الرؤساء، فهم الملأ. والمرأة الأولى عرضت نفسها على «مصرع» والثانية عرضت بناتها على «قدار»، وقد خرجت نساء القبيلة يغرين قتلة الناقة بكشف وجوههن، فقد كانت فتنة النساء هي المدخل الذي دخل منه إبليس إلى أولئك الملأ واتكأ معهم عليها لقتل الناقة التي هي آية الله التى أرسلها لنبيه صالح - عليه الصلاة والسلام - وفي هذه القصة يظهر لنا تواطؤ الملأ جميعاً وجالاً ونساءً.

*** فتنة الشيطان أحد الفراعنة بامرأة إبراهيم عليه السلام:**

«بينما إبراهيم هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه

(١) البخاري/ الفتح/ ج/٨/ك/التفسير/٤٩٤٢.

(٢) البداية والنهاية/ ج/١/١٣١، وانظر تاريخ الطبري/ج/١/٢٢٨، تفسير الطبري/ج/١٢/٦٥، والكامل في التاريخ/ج/١/٥١.

الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأُطلق، ثم تناولها الثانية فأُخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت، فأُطلق، فدعى بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، وإنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته - يعني إبراهيم - وهو قائم يصلي فأومأ بيد: مهيم؟ قالت: رد الله كيد الكافر - أو الفاجر - في نحره[1].

وهذا الجبار هو أحد الفراعنة الذين حكموا مصر وقيل إنه أخٌ للملك الضحاك الظالم الطاغية وولاه على حكم مصر.

*** امرأة العزيز مع يوسف:**

﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم... ﴾ [يوسف: ٢٣ - ٢٥].

﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر قال: إنه من كيدكن، إن كيدكن عظيم، يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ [يوسف: ٢٨ - ٢٩].

إن قصة يوسف عليه السلام، أكبر مثال موضح لارتكاز إبليس على أهل السلطة والتسلط عليهم من جهة الشهوة الجنسية ولعل القصة بقراءة الآيات قد لا تحتاج إلى مزيد بيان، ولكن «هنا تبدو لنا صورة من الطبقة

---

(١) فتح الباري/ ج/٦/ك/ أحاديث الأنبياء/٣٣٥٨.

الراقية – في الجاهلية – قبل آلاف السنين، وكأنها هي هي اليوم شاخصة ، رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية، وميّل إلى كتمانها عن المجتمع، وهذا هو المهم كله...

إنها الطبقة (الأرستقراطية) من رجال الحاشية في كل جاهلية قريب من قريب»[١] ومع صورة أخرى لهذه الطبقة الراقية وتظهر في مجون القصور، وانحلالها، وفجور سكانها وأصحابها، والصلة التي تحكم أهلها، وتسيطر على تصرفاتهم، ونوعية التفكير السائد في محيطهم واستبدادية المرأة وتسلطها، وخضوع الرجال لإرادتها الجامحة ورغبتها المدمرة، ونحن لو أغمضنا العين قليلاً وسرحنا بالفكر سرحة زمنية بعيدة، وانتقلنا بالخيال نقلة واسعة عبر القرون ثم حاولنا تحسس الواقع الاجتماعي المعاصر، أو تلمسنا أشكال وأنماط حضارة هذا الواقع لوجدنا أنفسنا في مستنقع واحد[٢].

*** رأس يحيى عليه السلام من أجل بغي:**

قيل لابن عمر هذه أسماء في ناحية المسجد – ذلك حين صُلب ابن الزبير – فمال إليها فقال: إن هذه الجثث ليس بشيء، وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري.

فقالت، وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغيّ من بغايا بني اسرائيل[٣]والشاهد من القصة هو ذكر أسماء رضي الله عنها لقتل

---

(١) الظلال/ ج/ ٤/ ١٩٨٣.

(٢) يوسف وامرأة العزيز/ محمد على قطب/ ٣١، ٣٢.

(٣) سير أعلام النبلاءج/ ٢/ ٢٩٤، وعزاه صاحب عودة الحجاب لابن حزم في المحلى/ ج/ ٢/ ٢٢، ولم أقف عليه في الطبعة التي لديّ/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ١٤٠٨هـ/انظر عود الحجاب/ ج/ ٢/ ١٩٥، ورجاله ثقات؛ وهو الخبر الثابت للقصة.

يحيى عليه السلام من أجل بغيّ...

وهنا نري قمة السيطرة الإبليسية على الملأ بدافع الشهوة الجنسية حيث يقتل نبي من أنبياء الله، وهو يحيى بن زكريا - عليهما السلام - وإن اختلفت كتب التاريخ في تفاصيل تلكم الحادثة إلا أن مفادها هو:

أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه، أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك، وكانت المرأة تريد ذلك الملك، فبقى في نفس المرأة والملك منه شيء، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب، أستوهبت منه دم يحيى فوهبه لها، فبعث إليه من قتله، وجاء برأسه إليها!!![1]

هكذا لم يدع اللعين في نفوسهم تورعاً عن قتل أنبياء الله، وكيف لا وأنبيائه مشاعل الهداية وأصحاب لواء الحق وراية التوحيد، وإبليس اللعين حامل لواء النار وراية الكفر والشرك.

*** حادثة الإفك:**

هذا الحادث، حادث الإفك[2]، قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لاتطاق؛ وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل؛ وعلق قلب رسول الله ﷺ، وقلب زوجه عائشة التي يحبها، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل.. شهراً كاملاً، علقها بحبال الشك والقلق والآلام التي لا تطاق، لقد نفذ إبليس إلى أحد كبار جنوده ورأس النفاق في زمانه وأحد رؤساء قومه، وحليف اليهود، هو عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول، نفذ إليه اللعين ليتولى

---

(١) انظر تاريخ الطبري/ ج/١/٥٨٦ - ٥٩٢، والكامل/ ابن الأثير/ ج/١/١٧١، والبداية والنهاية ج/١/٤٩.

(٢) انظر روايات القصة في /جامع الأصول/ ج/٢/ ٢٥٠ -٢٧٩.

كبر هذا الحادث الفظيع والذي أتُهمت فيه الصديقة بنت الصديق في شرفها وعفتها رضي الله عنها وعن أبيها، وإنه لمستنقع دنس ذلكم الذي سقى إبليس وليه منه، ولا عجب فبما ينضح المعين النجس غير النجاسة.

ومن خلال هذا العرض السابق والذي كان الغرض منه، ربط جوانب الدعوة الإبليسية والمنهجية المتبعة، وحتي لا نفصل بين أطراف القضية وأصولها، ولنعلم أنها وإن حدثت اليوم أو غداً فإن مثل هذا الأسلوب النجس ليس له مصدر إلا إبليس وجنده، وليعلم المسلم الملتزم بدينه أنه حين يُرخص للفساد، وتُنشر الرذيلة ويتوجب الاختلاط، ويُسن المجون، فليست هناك قوى خفية تحرك هذا كله من شرق أو غرب، وإنما هي قوى ظاهرة معلومة لها منهج متبع تسير عليه وتقتفي أثره، إنه المنهج الإبليسي في محاربة دعوة الحق، سواء كان من جنوده بالشرق أو الغرب، إنما يكفيك أن تعلم ذلك، وتعلم كذلك أنك أنت الهدف المطلوب تدميره في هذه الحرب، وقد سبقك أنبياء ورسل كرام صلوات الله وسلامه عليهم.

ب- المواجهة المسلحة والقتل:

وهي إحدى الوسائل التي ارتكز عليها إبليس مع ملأ أوليائه لمحاربة دعوة الحق..، إنه مما يلفت الانتباه في هذه القضية «هو مدى إصرار الطاغوت على الباطل في وجه الحق، ومدى مقاومته للدعوة إلى رب العالمين.. ذلك أنه يعلم علم اليقين أن هذه الدعوة بذاتها حرب عليه بإنكار شرعية قيامه من أساسه، وما يمكن أن يقبل الطاغوت بإعلان أن لا إله إلا الله، وأن الله هو رب العالمين إلا حين تفقد هذه الكلمة مدلولها الحقيقي، وتصبح مجرد كلمات لا مدلول لها.. فأما أن تأخذ عصبة من الناس هذه الكلمات حقاً بمدلولها الحقيقي... فإن الطاغوت لا يطيق هذه العصبة، كما لم يطق فرعون دعوة موسى إلى رب العالمين وإعلان السحرة المؤمنين أنهم آمنوا برب العالمين، وكما ظل هو والملأ من قومهم مُصرين على رد هذه الدعوة، والآيات تتوالى عليهم، والنكبات تتوالى عليهم من الجدب والجوع والآفات والبلاء... ولكن هذا كله أيسر وأهون من التسليم بربوبية رب العالمين!!(١)

إن وجود جماعة مسلمة في الأرض لا تدين إلا لله، ولا تعترف بسلطان إلا سلطانه، لا تحكم في حياتها إلا منهجه، إن وجود جماعة كهذه يُهدد سلطان الطواغيت، حتى لو انعزلت هذه الجماعة في نفسها وتركت الطواغيت لحكم الله حين يأتي موعده(٢).

إن طاغوت الباطل لا يطيق مجرد وجود الحق.. حتى حين يريد أن يعيش في عزلة عن الباطل - تاركاً مصيرهما لفتح الله وقضائه - فإن الباطل لا يقبل منه هذا الموقف، بل يتابع الحق ويطارده وينازله(٣).

---

(١) الظلال/ ج/٣/ ١٢٣١، ١٢٣٢.

(٢) المصدر السابق/ ج/٣/ ١٣١٨،

(٣) المصدر السابق/ ج/٣/ ١٣٠٦.

إن الطاغوت يفرض المعركة فرضاً على الجماعة المسلمة – حتى لو آثرت ألا تخوض معه المعركة – إن وجود الحق يزعج الباطل، وهذا الوجود هو الذي يفرض المعركة مع الباطل(١).

ذلك وليعلم أصحاب الدعوة إلى الله أن المعركة مع الطواغيت مفروضة عليهم فرضاً وأنهم لا يجديهم فتيلاً أن يتقوها ويتجنبوها فلا مفر من خوض المعركة والصبر عليها وانتظار فتح الله بعد المفاصلة فيها...(٢)

*** قتل الأنبياء واتحاد الموقف: «أتواصوا به»**

ونورد هنا مواقف المواجهة الإبليسية من جنده وحزبه لمحاربة دعوة الحق وذلك عن طريق القتل والإيذاء والتحريق، وغير ذلك، ثم نحاول الربط بينها لإثبات المنهج المتبع من قِبَل إبليس وجنده في مواجهة رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

– صالح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿**وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله، وإنا لصادقون**﴾ [النمل: ٤٨ – ٤٩].

قال ابن كثير: قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله: أي لنكبسنه في داره مع أهله فنقتله، ثم نجحدن قتله وننكر ذلك إن طالبنا أولياؤه بدمه(٣).

فهذا موقف الملأ مع صالح عليه السلام حين أرادوا قتله، وننتقل الآن نقلة بعيدة لنرى نفس المحاولة ونفس الأسلوب والذي يُظهر بجلاء منهجية المواجهة.

---

(١) الظلال/ ج/ ٣/ ١٣١٨.

(٢) المصدر السابق/ ج/ ٣/ ١٣٠٧.

(٣) البداية والنهاية/ ج/ ١/ ١٢٨، وانظر تفسير الطبري/ ج/ ١٩/ ١٧٣.

- محمد عليه الصلاة والسلام:

قال ابن اسحاق: حدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن عباس قال: لما اجتمعوا لذلك - أي المشاورة في أمر النبي عليه الصلاة والسلام - واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا ذلك اليوم الذي اتعدوا له، وكان اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إبليس - لعنه الله - في صورة شيخ عليه بتلة، فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً. قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع أشراف قريش فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا له رأياً، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: أحبسوه في الحديد، واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتي يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء هذا الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزوعه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبونكم على أمره، ماهذا لكم برأي، فتشاوروا، فقال قائل منهم: نخرجه من أرضنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنَّا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع إذا غاب عنّا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وأُلفتنا كما كانت، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم ترو حسن حديثه، وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حيّ من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأياً غير هذا، فقال أبوجهل بن

هشام: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا، وما هو يا أبا الحكم؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتىً شاباً جلداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعط كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم، قال: يقول الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأي غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له...(١)

ومن خلال هذه القصة تظهر لنا عدة مسلمات:

١- الحرض الإبليسي على مشاركة أوليائه في كل أعمال الفساد، خاصة التي تستهدف الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتي وصلت مداها في تمثله لحضور المؤتمر القرشي بنفسه.

٢- رفضه لكل الحلول التي عرضت قبل اقتراح أبي جهل، وبيان علة الرفض، وهذا فيه النصح البيّن لأوليائه حتى يتم مراده.

---

(١) رواه ابن اسحاق عن عبد الله بن النجيح عن ابن عباس، وأخرجه ابن اسحاق في السيرة والطبري، وقال السيوطي: رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل، ورجال الإسناد كلهم ثقات، وابن النجيح ثقة، قال وكيع: كان سفيان يصحح تفسيره عن مجاهد، وله شاهد مرسل بإسناد صحيح أخرجه عبد الرزاق في المصنف، وفي الباب أيضاً عن عائشة، وعلي بن أبي طالب ولكن لا يخلو اسنادها من مقال، فالحديث حسن. وانظر القصة في/تاريخ الطبري/ج/٢/٣٧١، الكامل/ج/٢/٧١/ والمنتظم/ لابن الجوزي/ج/٣/٤٦، والبداية والنهاية/ج/٣/١٧٣، وعيون الأثر/لابن سيد الناس/ج/١/٢٩١، والسيرة النبوية/ ابن هشام/ج/١/٤٢٩ وزاد المعاد/ لابن القيم/ج/٣/٥٠، والرحيق المختوم/١٧٦ - ١٧٩، والمنهج الحركي/ الغضبان/١٨٦ - ١٨٨.

٣- موافقته على الحل الأمثل - في نظرهم - وهو المواجهة المسلحة وقتل النبي ﷺ وتفرق دمه بين القبائل.

٤- ارتباط هذه القصة بقصة صالح عليه بالسلام السابقه من حيث:

أ- كون المنهج المتبع واحد في طريقه القتل.

ب- كون الذين قاموا بذلك هم أشراف القوم وساداتهم.

ج- كون الدافع على هذا حرصهم على مكانتهم وخوفهم من سيطرة أهل الحق، وهو الدافع القوي الذي يقذف به إبليس في قلوبهم حتى يجعل المواجهة دائماً من داخل نفوس الملأ لكي تشتد.

وهذه الحادثة تعود بنا إلى ما حدث عند بعثة النبي ﷺ من محاولة انتحارية قام بها أحد شياطين الجن.

قال ابن كثير: قال الواقدي: وحدثني طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال: كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمد ﷺ، مُنعوا، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: لقد حدث أمراً!!

فرقى جبل أبي قُبَيسّ... فرأى رسول الله ﷺ يصلي خلف المقام، قال: اذهب واكسر عنقه، فجاء يتخطر، وجبريل عنده، فركضه ركضة طرحه في كذا وكذا، فولى الشيطان هارباً...(١)

وعند فشله في محاولة قتل النبي ﷺ بجنوده سواء كانوا جناً أم إنساً، استخدم البيانات الكاذبة.

ففي غزوة أحد لما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال، رجع وهو يقول: قتلت محمداً!!

وصرخ الشيطان - أزّبُ العقبة - يومئذ بأبعد صوته: ألا إن محمداً

---

(١) البداية والنهاية/ ج/٣/ ٢٠.

قد قتل!!، فحصلت بهتة عظيمة من المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك، وصمموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ(١).

وهذا البيان الكاذب والذي أريد به زعزعة نفوس المؤمنين وقذف الخوف في قلوبهم يُعتبر الأصل الذي بُنيَّ عليه الإعلام الجاهلي منذ بداية الدعوة الاسلامية، وشواهد ذلك معلومة وواضحة، وهذا مما يعضد القول بأن المواجهة قد يتدخل فيها شياطين الجن تدخلاً مباشراً حين يرون عجز شياطين الإنس عن إنهاء المهمة الموكولة بهم، وهذا يفسر كثيراً من الأمور التي تحدث في الصراع ولا يتصورها كثير من الناس، ولا يجدون لها تفسيراً يبررون هذه الأحداث به.

قال شيخ الإسلام بن تيمية:

والشيطان هو نفسه خبيث، فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية، وأمثال ذلك بما يحبونه من الكفر والشرك، صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم، فيقضون بعض أغراضهم كمن يعطي غيره مالاً ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أوينال معه فاحشة.

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة، وقد يقلبون حروف كلام الله، إما حروف الفاتحة وإما حروف قل هو الله أحد أوغيرهما، إما بدم وإما بغيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غيرذلك مما ترضاه الشياطين أو يتكلمون بذلك.

«**فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم**» إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يُحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة، وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس كما تسرقه الشياطين من

---

(١) البداية والنهاية ج/٤/٣٢.

أموال الخائنين، ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به(*)، وإما غير ذلك، وأعرف من كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له ممن أعرفه مما يطول حكايته، فإنه كثير جداً(١).

- **موسى وائتمار الملأ:**

﴿**وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد**﴾ [غافر: ٢٦].

﴿**وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى، قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين**﴾ [القصص: ٢٠].

وسيرة موسى مع فرعون وقومه طويلة معروفة، وكفى به ﷺ أنه بعث إلي أكبر العتاة والجبابرة، والذي يعنينا هو أن فرعون مع ملئه قرروا قتل موسى عليه السلام وهو الذي كان قد أراد قتله أيضاً وهو ما زال طفلاً وليداً حتى لا ينتهي ملكه فحاول ثلاث مرات، ولكن الله كان عاصماً لنبيه.

وهنا أيضاً نرى موقف الملأ كما صرح الرجل المؤمن أنهم قد أصدروا أمراً بقتل موسى عليه السلام.

(*) وقد أخبرني أحد الأخوة الثقات عن مثل ما ذكره شيخ الإسلام، وكان ذلك حين قام بمعالجة إنسان مصروع وتكلم الجن الذي صرعه وأخبره أن الساحر الفلاني هو الذي أمره بالدخول في جسمه، وأنه أمره كذلك بسرقة أموال من أحد البنوك، وبالطبع لم يصدق الأخ ذلك لأن الكذب في الجن كثير، إلا أنه بعد فترة قليلة ظهرت على هذا الساحر علامات الثراء من شراء الأراضي والسيارات والمشاركة في الأعمال التجارية.

(١) الفتاوى/ج/١٩/٣٤ - ٣٥ وانظر/ج/١١/٢٣٩، ٢٨٦.

فالقتل الأول الذي أراده فرعون: حين كان بنو اسرائيل يدينون بدين جدهم إبراهيم، و أبيهم يعقوب، - عليهما السلام - «ومهما يكن قد وقع في عقيدتهم من فساد وانحراف فقد بقى لهم أصل الاعتقاد بإله واحد، وإنكار ألوهيته فرعون والوثنية الفرعونية، وكذلك أحس الطاغية أن هناك خطراً علي عرشة وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر ولم يكن يستطيع أن يطردهم منها وهم جماعة كبيرة أصبحت تعد مئات الألوف قد يصبحون إلباً عليه مع جيرانه الذين كانت تقوم بينهم وبين الفراعنة الحروب، فابتكر طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة التي لا تعبده، ولا تعتقد بألوهيته، تلك هي تسخيرهم في الشاق من الأعمال، واستذلالهم وتعذيبهم بشتى أنواع العذاب، وبعد ذلك كله تذبيح الذكورمن أطفالهم عند ولادتهم، واستبقاء الإناث كي لا يتكاثر عدد الرجال فيهم وبذلك يُضْعف قوتهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث فوق ما يصبه عليهم من نكال وعذاب»[1] وذلك بسبب خوفه عند إخبار الكهان له بأن هلاكه على يد مولود من بني إسرائيل.

والقتل الثاني: عندما قتل موسى القطبي المصري، وبلغ ذلك الملأ فقرروا قتله عليه السلام لولا أن الله سبحانه قدر له الرجل المؤمن من آل فرعون ليخبره خبر إئتمار الملأ وإرادتهم قتله، فتوجه إلى مدين فاراً ناجياً بنفسه.

والقتل الثالث: عندما خرج موسى ومن معه فاتبعهم فرعون وملئه وجنوده محاولين قتل موسى ومن آمن معه خشية الوثوب عليهم.

﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، ويذرك وآلهتك، قال: سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

---

(١) الظلال / ج / ٥ / ٢٦٧٧.

فالإيمان بالله وحده وخلع الآلهة المعبودة من دونه وعدم الانقياد لها والكفر بها هو إفساد في الأرض!!! وهو إفساد نعم، ولكنه إفساد على أهل الكفر والضلال، لأن ذلك يُفَوْت عليهم مصالحهم ومآربهم والتي يجنونها من تعبيد الناس لغير شرع الله.

وأثمرت هذه المحاولة عن خروج فرعون وجنده في أثر موسى وقومه لمحاولة قتل جماعي ﴿**وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً.. الآية**﴾ [يونس: ٩٠].

فكيد الملأ لم ينتهي حتى لو أرادت الجماعة المسلمة ترك ساحة المعركة فارة بدينها إلا أن الملأ بباطلهم وكفرهم يتابعونهم ولا يدعونهم وشأنهم، وذلك لأن وجود هذه الجماعة ابتداءً هو مصدر إزعاج وقلق لهم..

- **مؤمن آل ياسين:**

قال تعالى: ﴿**واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون، قالوا: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وما علينا إلا البلاغ المبين، قالوا إنا تطيرنا بكم، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم، بل أنتم قوم مسرفون، وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون، ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون، أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون، إني إذا لفي ضلال مبين، إني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة، قال يا ليت قومي يعلمون، بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين، وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون**﴾ [يس: ١٣ - ٢٩].

وها هي ملامح المواجهة تتكرر دائماً، وما ذلك إلا لأنها سنة قدرية قد كتبها الله عز وجل، فهذه القرية والتي كان بها ملك يعبُد الأصنام أرسل الله إليها ثلاثة من الرسل الكرام، فكذبوهم وتوعدوهم بالعذاب والرجم، ويأتي ذلكم الرجل – وهو حبيب النجار – فيستنكر على قومه ماقاموا به وفعلوه تجاه رسلهم ثم يعلن أمام الجميع إيمانه بالله وتوحيده، فما كان جواب قومه إلا أن عاجلوه بالقتل، عقوبة لإعلانه هذا(١).

وبهذا الاستعراض لبعض صور قتل الملأ لدعاة دعوة الحق والذي يُبين عن المنهجية المتبعة في هذه المواجهة لهو شاهد ودليل على أُحادية المصدر الذي يُستقى منه، وهو المنهج الإبليسي.

ومن صور القتل كذلك التي تواجه بها دعوة الحق حين يرتكز إبليس على الملأ فيها: التحريق.

---

(١) انظر البداية والنهاية/ ج/ ١/ ٢١٤.

جـ- التحريق: «قالوا حرقوه».

ونتعرض هنا لعدة صور من مواجهات الملأ لدعوة الحق بتحريق أصحابها ودعاتها:

- **إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام:**

عندما حطم الخليل عليه السلام هذه الأصنام التي كانت تُعبد من دون في ذلك المعبد القائم على أمره كهنة النمرود مدعي الربوبية، وكان هذا بعد أن دعاهم لترك عبادة الأوثان وعبادة الواحد الأحد تكررت السُنة الربانية، دعوة الحق تظهر، ودعوة الكفر يعلو صوتها، فما كان من مدعي الربوبية وكهنة معبده إلا أن ﴿**قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**﴾ [الأنبياء: ٦٨].

و﴿**قالوا ابنو له بنياناً فألقوه في الجحيم**﴾ [الصافات: ٩٧].

«فهم عندما انقطعوا عن المناظرة وغُلِبوا ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلا استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم... وذلك أنهم شرعوا يجمعون الحطب من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له، حتى إن المرأة منهم إذا مرضت تنذر لئن عُوفِيَتْ لتحملن حطباً لحريق إبراهيم، ثم عمدوا إلى حفرة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب واطلقوا فيه النارفأضرمت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق مكتوف الأيدي ثم ألقوه في النار»(١).

وهنا لا بد من إلفات الانتباه إلى عدة أمور منها:

١- أن النمرود مدعٍ للربوبية، وهو من الملوك الذين ملكوا الدنيا بالإفساد مع بختنصر البابلي.

---

(١) انظر البداية والنهاية/ج/١/١٣٧ - ١٣٨.

٢- أن قومه كانوا يعبدون الأوثان التي من الحجارة.

٣- أنه كان لهذه الأصنام معبد قائم عليه كهنة وهم الذين قاموا بمناظرته عليه السلام.

وهذه الاشارات سنراجعها بعد قليل.

- ماشطة ابنة فرعون:

روي الإمام أحمد في المسند قصة ماشطة ابنة فرعون وهي ذات فوائد مهمة، فقال رسول الله ﷺ:

«لما كانت ليلة أسري بي، أتت عليّ رائحة طيبة، فقلت: يا أخي يا جبريل ماهذه الرائحة الطيبة، فقال: رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها!؟

قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يدها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك، قالت: أخبره بذلك، قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، وقال يا فلانة وإن لك رباً غيري!!؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأُحميت، ثم أمر أن تُلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى إلى صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت»(١).

---

(١) رواه أحمد في المسند/ رقم /٢٨٢، ٢٨٢٣، ٢٨٢٤، ٢٨٢٥/تحقيق/ أحمد شاكر.

- أصحاب الأخدود: قتل الراهب وجليس الملك والغلام وتحريق المؤمنين:

وهذه الحادثة جمعت نوعي المواجهة: القتل، والتحريق.

«كان ملك فيمن قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني، وحضر أجلي فادفع لي غلاماً أعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً، فكان يعلمه السحر، وكان بين الغلام وبين الساحر راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك، وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا ما حبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر، قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال:

اليوم أعلم أمر الساحر أحب إلى الله أم أمر الراهب، وقال فأخذ حجراً. فقال: اللَّهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ، فكان يبرئ الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم الله على يديه وكان جليس للملك فعمي فسمع به فآتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا شافي أحد، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت به ودعوت الله شفاك، فآمن فدعا الله فشفاه الله، ثم أتى الملك، فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان: من رد عليك بصرك فقال: ربي قال: أنا!! قال: لا ربي وربك الله قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فأتى به فقال: أي بُني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء، قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله فأخذه

بالعذاب ولم يزل به حتى دل علي الراهب فأتى الراهب، فقال: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للغلام، ارجع عن دينك، فأبى فبعث به نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذ بلغتم ذروته فإن رجع وإلا فدهدهوه، فذهبوا به فلما بلغوا به الجبل، قال: اللّهم اكفينيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدُهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يلتمس حتى دخل على الملك قال: ما فعل أصحابك فقال: كفانيهم الله، فبعث به مع نفر في قرقرة فقال: إذ لججتم البحر فإن رجع عن دينه، وإلا فأغرقوه في البحر فلججوا به البحر، فقال الغلام: اللّهم أكفينيهم بما شئت فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل علي الملك فقال: ما فعل أصحابك، فقال: كفانيهم الله، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن فعلت ما آمرك به وإلا فإنك لا تستطيع قتلي قال: وماهو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم قل بسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم، ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فحُفر فيها الأخاديد وأضرمت فيها النار، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها، فكانوا يتعادون فيها ويتواقعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعة فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي، اصبري يا أماه فإنك على الحق(١).

- إبليس يحاول إحراق رسول الله ﷺ:

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ، فسمعناه يقول: أعوذ بالله منك، ثم قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده وكأنه

---

(١) رواه مسلم/ ج/١٨/ك/الزهد/ص/١٣٠.

يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله: قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة فلم يتأخر، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة»(١).

وهذه المحاولة تدل على مدى كراهية وبغض إبليس للدعوة الإسلامية ففي دار الندوة عندما ائتمر الملأ جاء لهم ناصحاً مشاركاً بنفسه، وفي غزوة بدر تمثل لأوليائه على صورة سراقة بن مالك ليحفزهم على القتال بنفسه وهنا يجئ بشهاب ليحرق وجه رسول الله ﷺ، فأي حقد يحمله هذا اللعين على دين الله، وعلى رسول الله ﷺ وعلى دعاة الحق.

حقائق هامة لما سبق:

ومن خلال هذا العرض السابق لمواجهات إبليس وملئه تتبين لنا عدة حقائق هامة وهي:

١- الارتباط الوثيق بين المواجهة والسُلْطَة.

٢- الارتباط الوثيق بين المواجهة والسحر والكهانة.

٣- الارتباط الوثيق بين شدة المواجهة ودعوى الألوهية والربوبية، وسوف أتعرض بإذن الله لكل واحدة منها مع ربطها بالمنهج الإبليسي لتتضح لنا أهمية الركائز التي أسلفت ذكرها.

---

(١) مسلم/ج/٥/ك/ المساجد/ب/جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة/ص/ ٣٠.

أولاً: مدى أهمية اعتبار السُلْطَة في المنهج الإبليسي:

والسلطة عند إبليس ركيزة عظيمة هامة، ولقد أثبت الله عز وجل له هذا السلطان على أوليائه وجنده ومن اتبع أمره ﴿**إنماسلطانه على الذين يتولونه، والذين هم به مشركون**﴾ [النحل: ١٠٠].

﴿**وماكان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك، وربك على كل شيء حفيظ**﴾ [سبأ: ٢١].

وقد مر بنا كلام ابن القيم حيث قال:

أثبت الله سلطانه على أهل الشرك، وعلى من تولاه، وعلى هذا فيكون السلطان ههنا على من لم يؤمن بالآخرة وشك فيها، وهم الذين تولوه، وأشركوا به فيكون السلطان ثابتاً لا منفياً(١).

ومن الأدلة على أهمية السُلْطة في المنهج الإبليسي:

١ - عرش إبليس:

وعرش إبليس من أجلى مظاهر سلطته وأوضحها، وهو الذي يجلس عليه إبليس ويصدر من فوقه الأوامر ويوجه القرارات.

«إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة... الحديث»(٢).

وعن جابر رضي الله عنه: قال، قال رسول الله ﷺ لابن صائد: «ما ترى؟ قال: أرى عرشاً على الماء أو على البحر حوله حيات» قال رسول الله

---

(١) إغاثة اللهفان/ ج/ ١/ ١٠٠.

(٢) مسلم مع النووي/ ج/ ١٧/ ك/ صفة القيامة/ ب/ تحريش الشيطان/ ص/ ١٥٦، ١٥٧.

ﷺ: ذاك عرش إبليس[١].

٢- اختيار أماكن السيطرة والعلو:

وهنا تتعدد أماكنه التي يحاول السيطرة عليها؛ والمتأمل يجد أن اللعين لا يفوت موقفاً إلا ويحاول السيطرة من خلاله، وقد أصبحت هناك مواطن هي كالأعلام على سيطرته، منها:

*** طلوع الشمس وغروبها:**

وهذه من أظهر دلائل العلو، فالشمس بمكانها المرتفع رمز للعلو وحاول اللعين من خلالها السيطرة على أوليائه، وهم الكفار والمنافقين، فمن حديث عمرو بن عنبسة مرفوعاً قال: (... أَخْبِرْني عن الصلاة قال: صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل الصلاة محضورة، حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة حتى تصلى العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار... الحديث »[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتي إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً »[٣].

---

(١) مسلم/ج/١٨/ك/الفتن/ ب/ذكر ابن صياد/٤٩/وأحمد ج/ ٣/٦٦، ٩٧، ٢٨٨.

(٢) رواه مسلم/ج/٦/ك/ المساجد / ب/الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها/ص/١١٦.

(٣) رواه مسلم/ج/٥/ك/المساجد/ب/ استحباب التبكير بالعصر/ص/١٢٣.

ولهـذا جـاء التـحـذير من النبي ﷺ في ترك الصـلاة في هذه الأوقـات لأجل ذلك.

«لا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان أو الشيطان»(١).

قال النووي: قيل المراد بقرني الشيطان، حزبه وأتباعه، وقيل قومه وغلبته وانتشار فساده، وقيل القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره وهذا هو الأقوى، قالوا ومعناه: أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة وحينئذ يكون له ولبنيه تسلط ظاهر وتمكن من أن يُلَبِسوا على المصلين صلاتهم فَكُرِهَتْ الصلاة حينئذ، صيانة لها(٢).

وقال ابن حجر: وقرنا الشيطان جانبا رأسه يقال: انتصب في محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين جانبي رأسه لتقع السجدة له، إذا سجد عبدة الشمس لها وكذا عند غروبها(٣).

وليس أدل على ذلك من أنه قد جعل الشمس - والتي هي رمز السيطرة عنده - إلهاً يُعبد من دون الله، وتقترن هذه العبادة بشدة المواجهة لدعوة الحق، والشواهد على ذلك كثيرة ونذكر منها:

الفراعنة:

إن الناظر إلى الآثار والرسوم الفرعونية فقط دون النظر في العقائد، ليجد أن لها عندهم تقديراً كبيراً وإجلالاً إذ أن الفرعون كان تجسيداً لإله الشمس على الأرض، أي أنه إله متجسد رضي أن تكون الأرض موطناً له

---

(١) الفتح/ج/٦/ ك/بدء الخلق /ب/صفة إبليس وجنوده/رقم/٣٢٧٣.

(٢) النووي مع مسلم/ج/٦/ص/١١٢.

(٣) الفتح/ج/٦/ص/٣٩٢.

إلى حين، وفي الوقت نفسه إبناً للآله آمون - رع[١]. ومواجهة الفراعنة لدعوة الحق طويلة معروفة وقصة موسى وقومه خير شاهد على ذلك.

التتار وجنكيز خان:

والتتار لا يخفى خبرهم فهم كانوا من عبدة الشمس، وكان ملكهم الذي يألهونه وهو جنكيز خان يزعمون أن أمه دخلت خيمة وحملت به من شعاع الشمس[٢] وعن مواجهتهم فحدث ولا حرج ويكفي بنا أن نستمع لكلام ابن الأثير رحمه الله وهو يقول عنهم:

لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن كتابة هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى فمن الذي يَسهُل عليه نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فياليت أمي لم تلدني، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة الكبرى والمصيبة العظمى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق، وخَصَّتْ المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلقه الله سبحانه وتعالى لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها، ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنوا إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا

---

(١) قصة الحضارة /وول ديورانت/ عن تأملات في الأناجيل والعقيدة/ د. بهاء النحال/ ١٤٩.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير/ ج/ ١٠/ ٤٠٠، والبداية والنهاية/ ج/ ١٣/ ١٢٧.

يأجوج ومأجوج وهؤلاء لم يُبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح وأما ديانتهم، فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئاً فإنهم يأكلون حتى الكلاب والخنازير وغيرها(١).

*** اختيار السلطة الجاهلية:**

وهنا نري أقوى الأدلة، وهي أن الصورة التطبيقية المباشرة لمذهب السلطة عند إبليس هي اختيار موضع الحكم في الواقع البشري.

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ [النساء: ٦٠].

وهنا ربط المولى عز وجل قضية الحكم والتحاكم الكفري بالشيطان في موضعين في هذه الآية، وهما عند قوله «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت» وهو الشيطان، والآخر في قوله، «ويريد الشيطان أن يضلهم» وهذا التكرار والربط توكيد على الالتصاق وعدم الفصل بين الشيطان وبين الحكم الجاهلي.

فإن اختياره لمركز السلطه عند البشر ومحاولة السيطرة عليه، لعلمه أن في هذا التسلط إمكانية أكبر للإفساد والإضلال، ولذلك فقد كانت الخلافة الإسلامية هدفاً كبيراً لهذا اللعين، ولأن الخلافة في حد ذاتها مواجهة له ومانعاً قوياً من نفاذه في جسم الأمة، فقد كانت الخلافة في عهد عمر رضي الله عنه سداً منيعاً أمام إبليس ولأن إبليس مصدر الفتن «ثم يبعث سراياه فأشدهم فتنة ... الحديث» وخلافة عمر كانت باباً منيعاً

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج/ ١٠/ ٣٩٩ – ٤٠٠.

حصيناً لهذه الفتن، وقد كان عمر نفسه - رضي الله عنه - يخافه الشيطان ويفر منه «إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك»(١).

وحديث حذيفة عن الفتن قال: كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا، كما قاله. قال: إنك عليه لجرئ، قلت فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي، قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر قال: إذن لا يغلق أبداً، قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: الباب عمر(٢).

ولقد أصبح كل صاحب سلطة جاهلية شيطان حقيقة لا مجازاً فعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:

«يكون بعدي أئمة لا يهتدون بُهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»(٣).

فهؤلاء تركوا الاهتداء بالشرع الحكيم فصاروا من أولياء الشيطان بل صاروا بذلك شياطين الإنس.

ثم يتدرج إبليس في النزول من السلطات العليا إلى السلطات الدنيا فبعد التسلط على رمز السلطة الجاهلية الأعلى يحاول التسلط على من هو

---

(١) الفتح/ ج/ ٧/ ك/ فضائل الصحابة/ ب. / فضائل عمر بن الخطاب/ ٣٦٨٣.

(٢) رواه البخاري/ الفتح/ ج/ ٢/ ك/ المواقيت/ ب/ الصلاة كفارة/ رقم/ ٥٢٥، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة/ ج/ ١٨/ ص/ ١٧.

(٣) مسلم/ ج/ ١٢/ ك/ الإمارة/ ص/ ١٢٨.

دونه. «إن الله تعالى مع القاضي مالم يجر، فإذا جار تبرأ منه وألزمه الشيطان»(١).

ثم هو بعد ذلك يرقب أصحاب السلطات الأقل، فيرقب رب البيت إذا دخل «إذا دخل الرجل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»(٢).

فكان اختياره لرمز السلطة في البيت وهو رب الأسرة فيه نفاذ له لتحصيل منافعة وتحقيق مآربه، ثم هو يستغل تلك المواقف التي يكون للرجل فيها السلطة وهو رب البيت لاستغلالها «أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال: اللّهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فرزقا ولداً لم يضره الشيطان»(٣) وفي بعض الروايات عند عدم ذكر ذلك الدعاء أو التسمية فإن الشيطان يجامع معه قال مجاهد: إن الذي يجامع ولا يسمي يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه(٤) فهو لعنه الله لا يترك سلطة إلا ويحاول استغلالها والسيطرة من خلالها لأنها أقرب وأسرع وأجدى في تنفيذ خططه ومكائده.

---

(١) صحيح ابن ماجة/ ١٨٧٠، ورواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي/ ج/ ٤/ ٩٣، وانظر تخريج المشكاة/ ٣٧٤١.

(٢) مسلم/ ج/ ١٣/ ك/ الأشربة/ ب/ آداب الطعام والشراب/ ١٩٠، وابن ماجة /ك/ الدعاء/ رقم ٣١٣٥.

(٣) الفتح/ ج/ ٦/ ك/ بدء الخلق/ ب/ صفة إبليس وجنوده/ رقم/ ٣٢٧١، ٣٢٨٣، ومسلم/ ج/ ١٠/ ص/ ٥.

(٤) الفتح/ ج/ ٩/ ١٣٧.

ثانياً: أهمية السحر والكهانة في المنهج الإبليسي وارتباطه بالمواجهة:

يعتبر السحر والكهانة من أجلى مظاهر الولاية الإبليسية، ويظهر فيه التواصل البيّن بين شياطين الإنس وشياطين الجن، ونتعرف أولاً على ماهية السحر وماهية الكهانة ثم نربط بينهما وبين شدة المواجهة لدعوة الحق.

أ- السحر:

التعريف اللغوي: قال الأزهري: السحر عمل يتقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، ومنه الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى، والسحر: الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق، والسحر: البيان في فطنة.

وقال أيضا: وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، والسحر: الخديعة، والسحر: الفساد، يقال: أرض مسحورة: أصابها ماء أكثر مما ينبغي فأفسدها[١].

التعريف الشرعي:

قال الشنقيطي: اعلم أن السحر في الاصطلاح لايمكن حده بحدٍ جامع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها ومن هنا اختلفت عبارات العلماء، في حده اختلافاً متبايناً[٢].

وعرفه أبو بكر الجصاص بقوله: كل أمر خفي سببه وتُخيل على غير حقيقته ويجري مجري التمويه والخداع[٣].

---

(١) لسان العرب/ ج/٦/ ١٨٩ - ١٩١.

(٢) أضواء البيان/ ج٤/ ٤٤٤.

(٣) أحكام القرآن للجصاص/ ج/ ١/ ٤٢.

وقال ابن العربي: كلام مؤلف يُعَظَّم به غير الله تعالى وتنسب إليه في المقادير والكائنات(١).

وقال ابن قدامة: السحر هو عُقَد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله ﷺ «أن من البيان لسحراً؛ أو إن بعض البيان سحراً»(٣).

قال ابن الأثير: والبيان: الإفصاح والكشف، والمعنى أن الرجل قد يكون عليه الحق، وهو أقوم بحجته من خصمه فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه لأن معنى السحر: قلب الشيء في عين الناس وليس بقلب الأعيان، ألا ترى البليغ يمدح الإنسان فيصرف قلوب السامعين إلى حب الممدوح ثم يذمه حتى يصرفها إلى بغضه(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل

---

(١) أحكام القرآن: لابن العربي ج/١/ ٣١.
(٢) المغني: لابن قدامة/ ج/٨/ ١٥٠.
(٣) الفتح/ ج/ ١٠ /ك/ الطب/ب/ إن من البيان سحراً/ ٥٧٦٧.
(٤) جامع الأصول/ ج/ ٥/ ١٦٤/ وانظر نحوه في الفتح / ج/ ١٠/ ٥٥٦.

أن يدركها فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا، فَيُصَدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء[١].

وهنا تظهر لنا دلائل الولاية، حيث أن الشياطين يُعَرّضُون أنفسهم للموت لمساعدة وليّهم من الإنس على الإضلال والإفساد، والسحر الذي تستخدم فيه الشياطين هو عبارة عن مجموعة من الرقى والتمائم والتي فيها تعظيمٌ للجان وكذا التقرب إليهم بشتى صور الخضوع، كذبح حيوان أو طائر ورميه في بئر دون التسمة عند الذبح أو الرمي أو كتابه القرآن بالنجاسة والعياذ بالله أوكتابته بصورة عكسية وغير ذلك من الكفر[٢].

والسحر ليس مختصاً بهذه الطرق أو الصور المعروفة فقط، بل الناظر إلى التعريف اللغوي والشرعي يدرك أن النظم والمناهج والنظريات والقوانين والتي يُقصد من وضعها شيء وتظهر للناس عل وجه يخالف هذا الشيء لصرف الناس عن حقيقته وخداعهم، وقلب الشرع الحكيم المنزل – الذي هو الصلاح والخير – في أعين الناس إلى تمائم وتعاويذ مقصورة على المساجد ولا شأن لها بالحياة وأمور الدنيا ويكون هذا بالتزيين والبيان الفطن، هو كذلك من السحر الحقيقي والذي تستخدم فيه الشياطين والذي يكفر صاحبة ككفر الساحر بالصورة السالفة لافرق.

وأما عن العلاقة بين السحر وشدة المواجهة لدعوة الحق فيظهر لنا من صور ذُكِرت آنفاً وهي:

١– موقف فرعون من دعوة موسى عليه السلام والتي هي من أشد المواجهات التي يعرضها القرآن الكريم ولعله لم تذكر قصة في القرآن مثلاً من حيث عرض المواجهة بين دعوة الحق وبين دعوة الشيطان وجنده ومنهم

---

(١) الفتح ج/٨/ك/ التفسير/رقم/٤٨٠٠.

(٢) انظر كتاب الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار/ وحيد الدين بالي وقد تعرض فيه لشرح صور وطرق السحر.

فرعون مثل هذه القصة.

ولقد كان السحر في عهد فرعون أمراً محموداً ممدوحاً ولا شيء فيه لغلبته وشيوعه وسيطرته على الواقع.

٢- موقف الملك صاحب الأخدود من إعلان الناس توحيدهم لله عز وجل، وهذا الملك كان له ساحر ويظهر من سياق الحديث[١] أن الساحر كان مقرباً إلى الملك حيث أنه أجابه لطلبه حين كبرت سنه لدفع غلام له ليعلمه السحر.

٣- وهي صورة المواجهة المعاصرة مع دعوة الحق من قتل الآلاف وسجن وتعذيب واعتقال وإرهاب، وذلك وفقاً للنظم والمناهج والنظريات والقوانين التي سنها لهم السحرة المحدثين شياطين الإنس.

ولا بد من التذكير بأن الساحر هو أحد أنواع الطواغيت كما ذكر ذلك ابن عباس وقتادة والسدي ومكحول وأبي العالية وابن سيرين[*]، فهذا رابط آخر بين الساحر والشيطان وهو رابط الطغيان.

ب- الكهانة:

والكاهن هوالذي يخبر عن بعض المضمرات يصيب بعضاً ويخطئ أبعاضاً يزعم أن الجن تخبره بذلك كما كان يفعله في الجاهلية شقّ وسطيح، وغيرهما من الكهان، وهو مما أبطله الإسلام وحرمه ونهى عن الذهاب إليه واستماع كلامه وتصديقه بما يخبر به[٢].

قال القاضي عياض رحمه الله: كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدها: يكون للإنسان وليّ من الجن يخبره بما يسترقه من السماء وهذا

(١) تقدم تخريجه ص (٩٥).

(*) انظر ص (١٩١) من هذا الكتاب.

(٢) ابن الأثير / جامع الأصول / ج / ٥ / ٦٤.

القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ.

والثاني: أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده...

والثالث: المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما؛ لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل علي الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتاده وهذه الأضرب كلها تسمى كهانه وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم والإتيان إليهم[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال: «ليسوا بشيء» قالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحياناً بالشيء فيكون حقاً! فقال رسول الله ﷺ «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبه» وفي رواية «فتسمع الشياطين الكلمة، فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة»[٢].

قال جابر رضي الله عنه: الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها، في جهينة واحداً، وفي أسلم واحداً وفي هلال واحداً وفي كل حيّ واحداً، وهم كهان تتزل عليهم الشياطين.

قال في فتح المجيد: أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين، ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقون من السمع

---

(١) شرح النووي على مسلم/ ج/ ١٤/ ٢٢٣.

(٢) الفتح/ ج/ ١٠/ ك/ الطب/ ٥٧٦٢، ك/ الأدب/ ٦٢١٣، ك/ ج/ ١٣/ ك/ التوحيد/ ٧٥٦١، ومسلم/ ك/ السلام/ ب/ تحريم الكهانة/ ص/ ٢٢٤.

فيصدقون مرة ويكذبون مائة[١].

ومن هذا يتضح لنا العلاقة القوية بين الكهان وبين الشياطين، أما صلة ذلك المواجهة لدعوة الحق فنذكر أيضاً تمثيلاً مماسبق.

وهي قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع النمرود الذي كان عابداً للأوثان وهذه الأوثان هي التي حطمها إبراهيم الخليل في المعبد الخاص بها، وناظره بسببها الكهان وقرروا حرقه انتصاراً لهذه الألهة.

قال تعالى: ﴿ **قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين** ﴾

[الأنبياء: ٦٨].

وقد مرت بنا تفاصيل القصة ورأينا مدى قوة مواجهتهم له عليه الصلاة والسلام، وبعد فالسحر والكهانة في المنهج الإبليسي لهما اعتبار هام وكبير وهما من العوامل الرئيسية في المواجهة مع دعوة الحق وبقى لنا ذكر الأمر الأخير من حقائق المواجهة مع إبليس وملئه لدعوة الحق

---

(١) فتح المجيد /٣٣٨/ تحقيق/ محمد حامد الفقي/ تعليق/ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز/ دار الكتاب الاسلامي.

ثالثاً: الارتباط بين شدة المواجهة وبين دعوى الربوبية والألوهية:

وهذه حقيقة جلية واضحة بينة، وهي من أشد الأدلة علي نجاح إبليس في دعوته الخبيثة إذ أنه لا يكتفي من المرء بالشيء اليسير من الكفر، بل أن يكون إماماً فيه داعياً إليه ملزماً له مرهباً مخالفه معذباً معارضه مجهزاً على من ينقض بنيانه ويهدمه، وما ذلك إلا لكونه ادعى الربوبية والألوهية، فقد أطغاهم وأفسدهم أيما إفساد كما أمهلهم وغرهم عفو الله وإمداده لهم بالمال والبنين، وهنا نرى أشد المواجهات والتي كانت للدعاة وحزب الله، كانت مع أُولئك المدعين.

فهذا الذي حاج إبراهيم في ربه وادعى الربوبية ﴿**ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت**﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فغره الغَرور بما آتاه الله من ملك - فقد كان ممن ملك الدنيا كلها - وأغواه إبليس بذلك ليدعي أنه رب قادر على الإحياء والإماتة، وقد مر أنه وقومه كانوا من عبدة الأوثان، ومر أيضاكم كانت مواجهتهم للخليل - عليه السلام - قوية وشديدة.

وهذا فرعون موسى وادعاؤه للألوهية لا يخفي على أحد يقول تعالى: ﴿**قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم موقنين قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين**﴾ [الشعراء: ٢٨ - ٢٩]. ﴿**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري!! فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين**﴾ [القصص: ٣٨].

﴿**ونادى فرعون في قومه قال يا قوم: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون**﴾ [الزخرف: ٥١].

﴿ فكذب وعصى، ثم أدبر يسعى، فحشر فنادى فقال: أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات: ٢١ – ٢٤].

فهذه أدلة لا ينازع في صحتها، ولقد كان أمر ألوهية فرعون أمراً مألوفاً وطبيعياً، ويعلل صاحب كتاب قصة الحضارة ذلك فيقول «وكان كهنة المعابد قد أعلنوا إمكانية حلول الآلهة في أجساد الملوك فأصبح كون هؤلاء الملوك آلهة وأبناء آلهة أمراً مألوفاً»(١).

وما فعله فرعون مع موسى وهارون وقومهما يضيق المقام لذكره وهنا نُذكّر بقصة ما شطة ابنة فرعون، والتي أحرقها فرعون وأولادها، حتى الرضيع منهم لم يرحمه، وما ذلك إلا لأنها أنكرت ربوبيته فلما علم بذلك قال في تعجب شديد: أولك رب غيري؟ وعندما أصرت على هذه الحقيقة والتي لا يريدها الطغاة، وهي أن يذعن الناس لإله واحد لا إله إلا هو مالك كل شيء رب كل شيء ومليكه المسيطر المهيمن العزيز الجبار، وعندها أمر بإحراقها مع أولادها بأبشع طريقة، وهي إلقاء أولادها أمامها في النار إمعاناً في تعذيبها.

ثم هذا الملك النجراني صاحب الأخدود الذي استنكر على جليسه الأعمى أن يكون له رب غيره هو الله الواحد الأحد وعندما لم يرجع، شقه نصفين من مفرق رأسه وهو ما فعله مع الراهب أيضاً، ولقد كان هذا الملك الجبار يخشى على ربوبيته وألوهيته المدعاة عندما آمن الناس فقيل له «لقد حدث ما كنت تخشى لقد آمن الناس» إن أشد ما يخشاه الطغاة والجبابرة هو يقظة الشعوب من غفوتها وعودتها إلى ربها منقادة له كافرة بالطغيان وأهله، لأن في ذلك تفويت منافعهم وإهدار كرامتهم وضياع سلطانهم وزوال حكمهم.

---

(١) قصة الحضارة/ وول ديورانت/ عن تأملات في الأناجيل والعقيدة/ ١٤٩.

وهذا أيضاً القرمطي الخبيث عدو الله ملك البحرين الأعرابي الزنديق الذي سار إلى مكة في سبع مائة فارس، فاستباح الحجيج واقتلع الحجر الأسود وردم بئر زمزم بالقتلى وصعد على عتبة الكعبة يصيح:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

فقتل في سكك مكة وما حولها زهاء ثلاثين ألفاً وسبى الذرية وأقام بالحرم ستة أيام(١).

فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون وإنها لفواجع في دين الله وفي رسل الله وأنبياءه والدعاة إليه وفي سبيله، جرها إلينا ذلك اللعين إبليس وجنده وأولياؤه الذين ارتكز عليهم لمواجهة هذه الدعوة المباركة إلى عبادة الواحد الأحد والكفر بكل ما سواه.

وإن كان اللعين قد ارتكز مع أصحاب القدرة – وهم الملأ – في المواجهة مع دعوة الحق على الشهوة الجنسية، ثم المواجهة المسلحة فقد حاول التسلط والارتكاز على أهل الحجة وهم العلماء.

ولقد كان جُلّ اهتمامه واعتماده أيضاً على أوليائه وجنده لإتمام هذه المهمة وهذا ما سيتضح بإذن الله.

* * *

(١) انظر ترجمتة في/ سير أعلام النبلاء/ ج/ ١٥/ ٣٢٠/ دار الرسالة.

الركيزة الثانية: العلماء:

إن وظيفة العلماء في هذه الأمة - وفي كل أمة - إحياء الناس بالعلم من مواتهم، وبعثهم من غفوتهم ونومتهم، وإخراجهم من عبادة غير الله إلى عبادته وحده، وسوقهم إلى ذلك سوقاً جميلاً حتى يحملوا الدين ويسعون به ويجاهدون في سبيله، ويقفون في وجه الطغاة الظالمين؛ لهذا كان الرجوع إليهم وتقديرهم وتوقيرهم وحبهم والتفاف الناس حولهم، والثناء عليهم والدعاء لهم، لهو أقل القليل في حقهم.

ولهذا وذلك علم إبليس اللعين خطورة دورهم ومكانتهم ومدى التأثر بهم، فجمع جنوده، وكثف جهوده، وأعد برامجه وخط خططه وانتهز فرصه، وجمع عُدده لمحاولة الارتكاز عليهم للإضلال بهم، فبفسادهم تضل الأمم، وبغيهم تغوى شعوب فهم حصن الناس من الشهوات والشبهات، فيدفعون الشهوة ويدحضون الشبهة.

قال سفيان الثوري: العالم طبيب الأمة[١].

وقال بقية عن إبراهيم بن أدهم ومحمد بن عجلان: ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم، إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم، يقول الشيطان: انظروا إليه كلامه أشد عليّ من سكوته[٢].

وقد بذل جهده الجهيد للسيطرة على العلماء والتسلط عليهم فتسلط على بعضهم إما برده عن منهج الحق والرشد، وإما بجعله داعية إلى البدع والضلالات والصد عن سبيل الله.

وحاول التسلط على البعض الآخر، فلم يفلح كيده ولم يجدي، فانقلبت محاولات تسلطه عليهم محنة وابتلاء، وذلك عن طريق أوليائه شياطين الأنس، إما بالتشهير بهم أو اعتقالهم وسجنهم أو قتلهم وصلبهم إلى غير ذلك.

---

(١) سير أعلام النبلاء/ ج/٧/٢٤٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله/ لابن عبد البر/ ج/١/١٢٦.

ونستعرض الآن صوراً من تسلطه وفتنته.

*** الصنف الأول: من صيرهم جنوداً له.**

أ- **من رده عن منهج الحق والرشد**: ولعل من أظهر الأمثلة على ذلك ما ذكره الله عز وجل في قوله سبحانه: ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون..** ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

وتعددت الروايات حول المقصود من هذه الآيات فقيل هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعام بن باعوراء وكان على هدى من الله وآتاه الله العلم، فأغواه الشيطان بتحسين الباطل واتباع الهوى فترك هذا العلم والفضل وانسلخ منه واتبع ما يأمر به الشيطان، وهذا هو الأشهر، وقيل هو أمية بن الصلت، وقيل أبو عامر الفاسق(١).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: وهذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها يحتمل أن يراد به شخص معين، قد كان منه ما ذكره الله، فقص قصته تنبيهاً للعباد، ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس، وأنه شامل لكل من آتاه الله آياته فانسلخ منها(٢).

وهذا النبأ الذي ذكره الله في كتابه، هو مثل لحال الذين يكذبون بآيات الله بعد أن تبين لهم فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها وما أكثر ما

---

(١) انظر تفسير الطبري/ج/٩/١١٩ -١٣١، والقرطبي/ج/٧/٣٢١، وابن كثير/ج/٢/٢٦٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن/ج/٢/١٧٢ - ١٧٣.

يتكرر هذا النبأ في حياة البشر؛ ما أكثر الذين يعطون علم دين الله ثم لا يهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه واتباع الهوى به، وهواهم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم - في وهمهم - عرض الحياة الدنيا وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنه ويعلن غيرها ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل! يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على حرمات الله في الأرض جميعاً.

لقد رأينا من هؤلاء من يعلم ويقول: إن التشريع حق من حقوق الله سبحانه، من ادعاه فقد أدعى الألوهية، ومن ادعى الألوهية فقد كفر، ومن أقر له بهذا الحق وتابعه عليه فقد كفر أيضاً، ومع ذلك، ومع علمه بهذه الحقيقة التي يعلمها من الدين بالضرورة فإنه يدعو للطواغيت الذين يدَّعون حق التشريع، ويدَّعون الألوهية بادعاءهم هذالحق.. ممن حكم هو عليه بالكفر! ويسميهم «المسلمين» ويسمى ما يزالونه إسلاماً لا إسلام بعده!!

وقد رأينا من هؤلاء من يكتب في تحريم الربا كله عاماً، ثم يكتب في حله كذلك عاماً آخر.. ورأينا منهم من يبارك الفجور وإشاعة الفاحشة بين الناس، ويخلع على هذا الوحل رداء الدين وشاراته وعناوينه فماذا يكون هذا إلا مصداقاً لنبأ ﴿**الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**﴾.

إنه مثل للعلم الذي لا يعصم صاحبه أن تثقل به شهواته ورغباته فخلد إلى الأرض لا ينطلق من ثقلتها وجاذبيتها، وأن يتبع هواه، فيتبعه الشيطان ويلزمه، ويقوده من خطام الهوى. وهو نموذج غير مقيد بزمان ولا

مكان(١).

ب- من جعله من دعاة البدع والضلالات:

قال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله... الآية**﴾ [التوبة: ٣٤].

قال ابن كثير: المقصود التحذير من علماء السوء وعُبَّاد الضلال، كما قال سفيان ابن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا كان فيه شبه من النصارى، وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك. وقال: ورؤس الناس ثلاثة والناس عالة عليهم، العلماء والعبّاد وأرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس. كما قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها(٢)

قال الشيخ علي بن أبي العز في شرحه على العقيدة الطحاوية:

وأحبار السوء العلماء الخارجون عن الشريعة بأقيستهم وآرائهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله وتحريم ما أباحه وإلغاء ما اعتبره وإطلاق ما قيده، وتقيد ما أطلقه ونحو ذلك(٣).

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك.

أحمد بن أبي دؤاد:

القاضي الكبير، كان موصوفاً بالجود والسخاء وحسن الخلق ووفور

(١) في ظلال القرآن/ ج/٣/ ١٣٩١ - ١٣٩٩ - بتصرف.

(٢) تفسر ابن كثير/ ج/٢/ ٣٥٠.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني / ٢٠٤/طبعة المكتب الإسلامي / الطبعة الثانية/ ١٤٠٤هـ.

الأدب غير أنه أعلن مذهب الجهيمة، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، وكان إلباً على الإمام أحمد بن حنبل في محنته وكان مما قاله فيه: يا أمير المؤمنين اقتله هو ضال مضل.

وكان سبباً في زيادة محنتة رحمه الله[١]، وكان امتحان الناس في مسألة خلق القران فتنة عظيمة عمت البلاد بضررها وبلائها توفى فيها الإمام نعيم بن حماد في سجنه مقيداً لأنه لم يجب إلى تلك الفرية[٢]، وكذا الإمام البويطي توفى في سجنة مقيداً أيضاً[٣]. وقتل فيها الإمام أحمد بن نصر الخزاعي، وقطعوا رأسه وعُلقت في بغداد وصلبوا جسده في سامراء ست سنوات[٤] وسُجن الإمام الحارث بن مسكين بسببها عشرين عاماً[٥] وضرب الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثم هرب واختفى[٦]، وتوفى صاحب الإمام أحمد وهو محمد بن نوح في أثناء المحنة وهما محمولان للامتحان[٧].

فحمله اللعين على إعلان بدعته ودعا إليها واتكأ عليه في نشر العقائد الباطلة إضافة إلى ما ترتب على هذا الإعلان من امتحان وفتنة عظيمة وقعت للناس وقتها وعلى رأسهم العلماء الربانين.

وكان هلاكه في المحرم سنة أربعين ومئتين، وابتلاه الله بمرض الفالج وبقى طريح الفراش لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده وحُرم لذة الطعام

(١) انظر محنة الإمام أحمد/ سير أعلام النبلاء/ ج/ ١١/ ٢٣٢ – ٣١٠، والبداية والنهاية/ ج/ ١٠/ ٣٤٥ – ٣٥٠.
(٢) انظر سير أعلام النبلاء/ ج/ ١٠/ ٦١٠.
(٣) المصدر السابق/ ج/ ١٢/ ٥٨.
(٤) السابق/ ج/ ١١/ ١٦٧.
(٥) السابق/ ج/ ١٢/ ٥٥.
(٦) السابق/ ج/ ١٢/ ٤٩٧.
(٧) السابق/ ج/ ١١/ ٢٤٢.

والشراب والنكاح وغير ذلك، وصادر الخليفة المتوكل أمواله، ودخل عليه بعضهم فقال له: والله ما جئتك عائداً وإنما جئتك لأعزيك في نفسك وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك من أي سجن[1].

وإن كان أحمد أبي دؤاد مثالاً لعلماء البدع والضلالات فهو ليس وحده في هذا الركب الذي اعتمد عليه الشيطان لبث البدع والخرافات والعقائد الباطلة، بل هو ركب كثير عدده كثيرة سمومه طويلة أنيابه لا يَفْتُرون عن الإضلال والفساد في كل عصر ومصر ولا يخلو منهم زمان لا كثرهم الله وإن كان وجودهم سنة قدرية ليستمر الصراع الأزلي الذي قام ولا زال بين جند الحق، وجند الباطل، حزب الرحمن وحزب الشيطان، فكل داعية إلي الأخلاق الفاسدة والعقائد الباطلة والأقوال والأعمال الجائرة وكذا أصحاب التشريعات الكفرية هو ممن جنده الشيطان وصيّرة من أوليائه وحزبه ليصد به عن سبيل الله وطريقه المستقيم.

---

(١) انظر البداية والنهاية/ ج/ ١٠/ ٣٣٣، وسير أعلام النبلاء/ ج/ ١١/ ١٦٩.

الصنف الثاني: من حاول التسلط عليهم ولم يفلح:

إن الله عز وجل يُقَيّض لهذا الدين من يحمله ويسعى به ويجاهد في سبيله ويدفع كل غال ورخيص في سبيل نصرته، ولتقال كلمة الحق في وجه كل طاغية جبار وفي وجه كل مارق ضال وفي وجه حزب الشيطان بأسره لا يخشى في الله لومة لائم، وإن من هؤلاء العلماء الربانيين والذين حاول الشيطان التسلط عليهم وتصيرهم جنداً من جنده فلم يجد كيده ولا مكره في ذلك، فتوجه إليهم عن طريق أوليائه وحزبه الملعون محاولين فتنتهم في دينهم إما بالسجن أو القتل أو الصلب وغير ذلك وقد حسب أولئك الشياطين إمكانية وصولهم لما أرادوا، ولكن هيهات!! فابتلاؤهم رفع لدرجاتهم وعلو منزلتهم عند الله، ومن مات منهم أو قتل قد نال من الأجر ما لا يعلمه إلا الله فقد حملوا دينه وضحوا بأرواحهم وأنفسهم في سبيله والله وحده المجازي والمكافئ لعباده المؤمنين.

ونستعرض الآن بعضاً من صور محاولات الإيذاء التي قاد الشيطان فيها أتباعه للنيَّل من العلماء الربانيين.

أولا: التشهير:

إن أصحاب النفوس الضعيفة – وحق لهم أن يوصفوا بذلك – حين يعجزون عن مواجهة أهل الحق يلجاؤون إلى الوسائل الدنسة النجسة والتي منها إدعاء الدعاوي على العلماء للتشهير بهم ولن نستطرد في هذه المسألة[1] كثيراً وسنكتفي بذكر مثالين فقط.

*** الخطيب البغدادي:**

والخطيب البغدادي قد يكون في غنىً عن التعريف فهو كما قال عنه الذهبي: الإمام الأوحد العلامة الحافظ الناقد محدث الوقت صاحب

---

(١) قد كنت آليت على نفسي الاستطراد، ولكن نُصحت من قبل أحد العلماء الأفاضل بأن إماته مثل هذه الأمور خير من تسويد الصفحات بها فجزاه الله خيراً.

التاريخ والتصانيف، لم يستطع المناوئون له أن يجدوا عليه شيئاً إلا أن يتهموه بعشق المردان – عياذاً بالله – واستغلوا ذلك من تردد صبي عليه فاضطر إلى مغادرة البلد(١).

* **أبو عثمان المغربي:**

الإمام القدوة أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي القيرواني.

قال الحاكم: خرجت من مكة متحسراً على رؤيته ثم خرج منها لمحنة وقدم نيسابور فاعتزل الناس أولاً ثم كان يحضر الجامع.

قال السُلمي: كان أوحد المشايخ في طريقته ولم نر مثله في علو الحال وصون الوقت، امتحن بسبب زور نسب إليه حتى ضُرب وشُهِرَ على جمل ففارق الحرم، رحمه الله(٢).

ثانيا: الاعتقال والنفي والحبس والقتل:

* **ابن برجان:**

الشيخ الإمام العارف القدوة أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن اللخميّ المغربي، قال عبد الله بن الآبار: كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة وله تصانيف مفيدة منها تفسير القرآن وكتاب شرح أسماء الله الحسنى، توفى مُغَرّباً عن وطنه بمراكش، وذلك حين اعتقل مع الشيخ أبي العباس بن العريف عندما توهم ابن تاشفين – أحد حكام المغرب – أن يثورا عليه فنفاهما إلى مراكش(٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء/ج/١٨/ ٢٨١.

(٢) المصدر السابق/ ج/١٦/ ٣٢٠.

(٣) السابق/ج/ ٢٠/ ٧٣.

* **إبراهيم التيميّ:**

طلب الحجاج بن يوسف، إبراهيم النخعي فجاء الرسول فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيميّ: أنا، ولم يستحل أن يدل على النخعي، فأمر بحبسه في الديماس، ولم يكن لهم ظل من الشمس ولا ركن من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغيَّر إبراهيم، فعادته أمه فلم تعرفه، ثم توفى رحمه الله، ورأى الحجاج في نومه قائلاً يقول: مات في البلد البارحة رجل من أهل الجنة فسأل فقالوا: مات في السجن إبراهيم التيميّ فقال: حلمٌ نزغة من نزغات الشيطان، وأمر به فألقى على الكناسة(١).

* **ابن أبي عطاء:**

الإمام المحدث الزاهد، تلميذ شيخ الإسلام إسماعيل الأنصاري، أمر بعض الأمراء أن يُضرب مئة سوط فبُطح على وجهه فكان يضرب إلى أن ضُرب ستين، فشكوا كم ضرب خمسين أو ستين؟ فقال: خذوا بالأقل احتياطاً وحُبَس مع نساء، وكان في الموضع أترسة، فقام بجهد من الضرب وأقام الأترسة بينه وبينهن، وقال: نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة بالأجنبية(٢).

* **الذُهْليّ:**

الحافظ المجود أبو زكريا يحيى بن محمد الذهلي إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة وابن إمامها وأمير المطوعة بلا مدافعة - يعني الغزاة - قتله أحمد بن عبد الله الخُجُستاني ظلماً وكان أميراً ظالماً غاشماً وذلك لكونه قام عليه وحاربه لاعتدائه وعسفه، وكان قد دخل عليه هذا الأمير في حبسه وأمسك بلحيته وأخرج سكيناً من خُفه وشق بطنه

(١) طبقات ابن سعد / ج/ ٦ / ٢٨٥، وسير أعلام النبلاء / ج / ٥ / ٦٢.

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء / ج / ٢٠ / ٥٦.

رحمه الله تعالى(١).

* البويطي:

الإمام العلامة، سيد الفقهاء أبو يعقوب بن يحيى البويطي صاحب الشافعي لازمه مدة وتخرج وفاق الأقران، وكان إماماً في العلم قدوة في العمل، سعى به أصحاب أحمد بن أبي دُؤاد حتى كتب فيه ابن أبي دُؤاد إلى والي مصر فامتحنه فلم يجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك، فقال له:

إنه يقتدى بي مئة ألف ولا يدرون المعنى!! فأمر به فحُمل إلى بغداد قال الربيع بن سليمان: رأيته في عنقه غلٌ وفي رجليه قيد وبينه وبين الغل لبنة - طوبة - وزنها أربعون رطلاً وهو يقول: إنما خلق الله الخلق «بكن» فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق!! ولئن أُدخلت عليه لأصدقنه - يعني الواثق - ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، وتوفى رحمه الله في قيده مسجوناً بالعراق(٢).

وكان قد حُمل معه في هذه المحنة الإمام العلامة نعيم بن حماد ومات في سجنه أيضاً، وجُر بأقياده فأُلقي في حفرة ولم يكفن ولم يصلى عليه وكان قد أوصى أن تدفن أقياده معه وقال: إني مخاصم(٣).

* ابن البردون:

الإمام المفتي أبو اسحاق إبراهيم بن محمد البردون المالكي، دارت عليه الدوائر في أيام بني عُبَيْد الله الشيعي الخبيث، وكان قد أمر أن لا يُفْتَى

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء/ج/١٢/٢٨٥.

(٢) سير أعلام النبلاء/ج/١٢/٥٨.

(٣) المصدر السابق/ج/١٠/٦١٠.

بمذهب الإمام مالك، فبقي من يتفقه عل مذهبه إنما يتفقه سراً، وعند دخول الشيعي إلى القيروان سعوا به إليه - وكانت الشيعة تميل إلى العراقيين لموافقتهم في مسألة التفضيل ورخصة مذهبهم - فرُفع ابن البردون ومعه أبو بكر بن هذيل، فحبسا، ثم أُمر أن يضرب ابن هذيل خمسين سوطاً ويضرب عنق ابن البردون، فغلط المتولي فقتل ابن هذيل وضرب ابن البردون ثم قتله من الغد(١).

* ابن خيرون:

الإمام أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري كان شيخاً جليل القدر ذا هيئة وخشوع، كان شديد البغض لعُبيد الله الزنديق، فوجه إليه من يحضره ثم أمر به فبُطح على الأرض ثم أمر السودان بالقفز عليه حتى مات رحمه الله(٢).

* الشهيد:

الإمام الناقد الحافظ المجود أبو الفضل محمد بن أبي الحسن الجارودي الهروي، حين حضر القرامطة الملاعين إلى مكة سنة سبع عشر وثلاث مئة واقتلعوا الحجرالأسود وردموا بئر زمزم بالقتلى تعلق الإمام بيديه بحلقتي باب الكعبة، فقاموا بضربه بسيوفهم حتى سقطت رأسه على عتبة الباب(٣).

ثالثا: الصلب والسلخ:

روي مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم

---

(١) سير أعلام النبلاء: ج/١٤/٢١٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج/١٤/٢١٧.

(٣) المصدر السابق: ج/١٤/٥٣٩.

رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس(١).

وصدق البشير النذير الذي لا ينطق عن الهوى فها نحن سنطالع بعض ما فعله أولئك الشياطين مع العلماء والأئمة - رحمهم الله - مما ينبئ عن منهجية متبعة واحدة، ولا تقل عن موقف فرعون من ماشطة ابنة فرعون ولا أصحاب الأخدود مع المؤمنين.

* **الحُبُليّ:**

الإمام قاضي مدينة برقة، محمد بن الحُبُليّ، أتاه أمير برقه، فقال غداً العيد، قال حتى نرى الهلال ولا أفطر الناس وأتقلد إثمهم، فقال: بهذا جاء كتاب المنصور - وكان هذا من رأي العُبيّدية يفطرون الناس بالحساب ولا يعتبرون الرؤية - فلم يُر هلال، فأصبح الأمير بالطبول والأعلام وأهبة العيد، فقال للقاضي: اخرج للصلاة، فقال القاضي لا أخرج ولا أصلي، فأمر الأمير رجلاً فخطب وكتب بما جرى للمنصور، فطلب القاضي إليه، فأُحضر، فقال له: تنصل وأعفو عنك، فامتنع، فأمر به، فعُلق في الشمس إلى أن مات، وكان يستغيث العطش فلم يسق، ثم صلبوه على خشبة، فلعنة الله على الظالمين(٢).

* **ابن النابلسي:**

الإمام القدوة أبو بكر بن محمد بن سهل الرملي ويعرف بابن النابلسي، سجنه بنو عُبيّد على السُنة وأمروا بسلخه.

وكان يقول وهو يسلخ: «كان ذلك في الكتاب مسطوراً» أقام جوهر القائد صاحب مصر(*) لابن النابلسي مجلساً، وقال له، بلغنا أنك قلت إذا

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٠٣).

(٢) سيرأعلام النبلاء: ج/١٥/ ٣٧٤.

(*) وهو الذي بنى مدينة القاهرة المصرية ولانزال نسمع المدح والثناء عليه وعلى دولته الباطلة التي تسمى الفاطمية، والذين أشتد أذاهم لأهل السنة في مصر وغيرها.

كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي الروم سهماً وفينا تسعه قال: ما قلت ذلك، بل قلت: إن كان معه عشرة أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة ويرمي بالعاشر فيكم أيضاً!! فإنكم غيرتم الملة وادعيتم نور الألهية وقتلتم الصالحين فشهره ثم ضربه ثم أمر يهودي فسلخه.

قال ابن الأكفاني: جُعل في قفص من خشب وسُلخ وحُش تبناً وصلب وسُلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاخ فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه، ثم صُلب رحمه الله(١).

وقد مر بنا ابن البردون وابن هذيل وقد صلبا بعد قتلهما في السجن.

رابعاً: الاغتيال:

*** البسطامي:**

شيخ الشافعية، انتهت إليه زعامة الشافعية بعد أبيه وكان مدرساً رئيساً وكانت داره مجمع العلماء، واحتفى به الفقهاء.

ظهر له خصوم وحُسّاد، وحرفوا عنه السلطان، وهاجت فتنة بخراسان سجن فيها أبو سهيل البسطامي أشهراً وصُودر وأُخذت ضياعه ثم أطلق فحج ثم عَظُم بَعدُ عند ألب أرسلان، وهَمْ أن يستوزره فقُصد واغتيل رحمه الله(٢).

كانت هذه هي بعض صور الفتنة التي تعرض لها العلماء بسبب شياطين الإنس أولياء شياطين الجن، جند إبليس اللعين، وقد غضضت الطرف عن أحداث كثيرة خشية الإطالة، وحسبي أن ما أوردت قد أبان المنهج المتبع من إبليس وجنده في مواجهة دعوة الحق.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج/١٦/ ١٤٨.

(٢) المصدر السابق ج/١٨/ ١٤٢.

الفصل الثالث

ركائز المؤمنين في المواجهة

* المبحث الأول: رحمة رب العالمين.

* المبحث الثاني: التزام الشرع.



تمهيد

حين نقرر أن هناك مواجهة فلا بد لنا من معرفة طبيعتها، لأن المواجهة غالباً لا تكون إلا مع عدو، وقد بيّن الباري عز وجل لعباده أن العلاقة بيننا وبين الشيطان وجنده، هي علاقة العداء.

قال تعالى:

﴿ ... **ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين**﴾ [الأعراف:٢٢].

﴿**إن الشيطان للإنسان عدو مبين**﴾ [يوسف: ٥].

﴿**إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً**﴾ [الاسراء: ٥٣].

﴿**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾ [طه: ١١٧].

﴿**هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين**﴾ [القصص:١٥].

﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً** ...﴾ [فاطر:٦].

﴿**ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾ [الزخرف:٦٢].

فهذه هي طبيعة الشيطان العداء، والعداء المبين والحقد الدفين والكيد الكبير الذي لا ينكسر أمام الهزائم، فنفس الشيطان خبيثة تنطوي على كل شر وكراهية لبني آدم عامة ولأصحاب دعوة الحق خاصة.

روي أحمد ومسلم وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: ياويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»(١).

---

(١) مسلم/ج/٢/ك/الإيمان/ب/ بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك =

إن إحياء وإيقاظ النفوس من سُباتها وغفلتها للانتباه إلى هذه المعركة لهو الإيمان الحقيقي بقدرية الصراع وهو الدافع لاستكمال المواجهة إلى نهايتها بنهاية الحياة، وحين تفتر النفس عن قدرية الصراع فإن الرابح هو إبليس وجنده، وما كانت هذه الأسطر إلا لإيقاظ ذلكم الشعور وترسيخ هذا المفهوم، فحين ندرك أن الصراع قدري وأن المواجهة حتمية فإننا وقتها نستطيع الارتكاز على هذا الشعور ودفعه من كمونه في النفس إلى واقع يتحرك على أرض الصراع، فيلبس الإنسان له لأْمَةَ الحرب، ويجرد سيفه من غمده، ويخرج سهمه من كنانته، ويتخذ موقعه في صنوف جنود الرحمن ويبدأ المعركة مع إبليس وجنده.

قال حاتم الأصم: ورأيت كل أحدٍ له عدو، فمن اغتابني ليس بعدوي، ومن أخذ مني شيئاً ليس بعدوي، بل عدوي من إذا كنت في طاعة أمرني بمعصية الله، وذلك إبليس وجنوده فاتخذتهم عدواً وحاربتهم»[(١)].

والذي نريده هنا، هو إثارة التعبئة الشعورية والنفسية لدى المسلم حتى يستشعر عظم المعركة وخطرها على نفسه وأهله وولده وماله ومجتمعه، بل والأمة كله، فهي جبهات لابدأن نكون عليها وقوفاً حراساً متيقظين، ندافع عن دين الله من هجمات شياطين الإنس والجن.

* * *

= الصلاة/ص/٦٩/وأحمد في المسند مع شاكر/٩٧١١، وابن ماجة/ك/إقامة الصلاة، والسنة فيها/ ب/سجود القرآن/٨٦٤.

(١) سير أعلام النبلاء ج/ ١١/٤٨٦.

المبحث الأول:

رحمة رب العالمين

* المطلب الأول: «بعث الرسل مبشرين ومنذرين».
* المطلب الثاني: «خلق الملائكة».
* المطلب الثالث: «التوبة والاستغفار ومضاعفة الأجور».

المطلب الأول

بعث الرسل مبشرين ومنذرين

إن الله عز وجل برحمته وفضله يشمل الجماعة المؤمنة إينما حلت وأينما كانت وهذا ما يدعونا للفرح والسرور وينزل في قلوبنا الطمأنينة والسكينة، «لولا فضل الله ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلا».

قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت**﴾ [النحل:٣٦].

إن الله عز وجل ما أرسل الرسل إلا لبيان التوحيد والدعو ة إليه، والذي يتضمن إلى جانب الإيمان بالله وحده، الكفر بكل ما عُبِد من دون الله من أرباب وأنداد وآلهة وطواغيت.

وعلى رأس أولئك الطواغيت، الطاغوت الأكبر الشيطان اللعين ومن رحمة رب العالمين وفضله أنه سبحانه لم يتركنا هكذا تتقاذفنا أهواء الشياطين، وإنما أرسل الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم هادين للناس ومبينين للشرك والكفر والبدع والضلالات والتي هي دعوة إبليس وجنده.

ولهذا لم تُعَاد شياطين الجن والأنس أحداً مثلما كانت تعادي الرسل الكرام، وكيف لا وَهم مشاعل الهداية، ومصابيح الإيمان، ولهذا كان لكل نبي عدو منهم، ولكنه ليس كأي عدو، إنما عدو من المجرمين.

قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين..**﴾ [الفرقان: ٣١].

وأولئك المجرمون هم شياطين الإنس والجن لا يَفْتُرون عن الترصد لهم ومحاولة إيذائهم.

﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً...**﴾ [الأنعام: ١١٢].

المطلب الثاني
خلق الملائكة

من فضل الله علينا أن جعل الملائكة طرفاً في المواجهة بين الإنسان والشيطان لتكون للإنسان أقوى ظهير بعده سبحانه.

وهذا الفضل وهذه الرحمة تظهر لنا حين نعلم أن المهمة الموكلة بالملائكة مقابلة لمهمة إبليس وجنده، فخلق الملائكة وطبيعتها وجنسها وعملها مقابل كذلك للشياطين في خلقهم وطبيعتهم وعملهم ومن ذلك:

* **مادة الخلق:**

فهي أول صور التقابل بين الملائكة والشياطين.

قال تعالى: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ [الحجر: ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿**وخلق الجان من مارج من نار**﴾ [الرحمن:١٥].

وروي مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[١].

* **طبيعة الجنس:**

وجنس الملائكة الكرام طبيعتهم الطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى، وهم مجبولون على ذلك ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [التحريم:٦].

فهم عباد الله المكرمون والسفرة بينه سبحانه وبين رسله، الكرام خَلقاً وخُلقاً، البررة الطاهرون ذاتاً وصفاتاً، وجنس الشياطين طبيعتهم الشر

---

(١) مسلم/ج/١٨/ك/الزهد/ص/١٢٣، وأحمد في المسند/ج/٦/١٥٨.

والفساد والإغواء والكفر والعصيان وعبادة غير الله.

* **طبيعة الأعمال:**

والتقابل في طبيعة الأعمال بين الملائكة والشياطين يظهر في صور عديدة، منها:

- **الانتشار والسياحة:**

«الملائكة يتعاقبون، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم - فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فقالوا تركناهم يصلون، وأتيناهم يصلون»(١).

«إن لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون يلتمسون مجالس الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا(٢).

وأما عن الشياطين وانتشارهم، فروي البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ «إذا استجنح الليل، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، وفي رواية، فإن للجن خطفة وانتشاراً»(٣).

فانتشار الشياطين للإفساد والإضلال، وطواف الملائكة لتلمس الخير والذكر وحفظ العبد من شر الجن ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) الفتح/ ج/ ٦/ ك/ بدء الخلق/ ب/ خلق الملائكة/ ٣٢٣٢.

(٢) الفتح/ ج/ ١١/ ك/ الدعوات/ ب/ فضل ذكر الله عز وجل/ ٦٤٠٧، ومسلم/ ج/ ١٧/ ك/ الذكر والاستغفار/ ب/ فضل مجالس الذكر/ ص/ ١٤.

(٣) الفتح/ ج/ ٦/ ك/ بدء الخلق/ ب/ صفة إبليس وجنوده/ ٣٢٨٠، ب/ خير مال المرء غنم يتبع بها شعف الجبال/ ٣٣٠٤، ومسلم/ ج/ ١٣/ ك/ الأشربة/ ب/ استحباب تخمير الإناء وإيكاء السقاء... إلخ، ص/ ١٨٣، ١٨٤.

قال ابن عباس: والمعقبات هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه[١].

*خذلان الكافرين، وتثبيت المؤمنين:

﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه، وقال: إني بريء منكم إني أخاف الله، والله شديد العقاب﴾ [الأنفال: ٣٨].

وروي مالك في الموطأ عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: مارؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام؛ إلا مارأى يوم بدر» قيل، وما رأى يوم بدر يارسول الله؟ قال: «أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة» [٢] أي يصفهم للقتال.

﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بلى إن تصبروا وتتقوا يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].

﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ [الانفال:١٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير/ ج/ ٢/ ٥٢٢.

(٢) الموطأ/ ج/ ١/ ٤٢٢/ والحديث مرسل وصححه شيخ الإسلام بن تيمية في الفتاوى ج/ ١١/ ٢٣٨.

(٣) الفتح/ ج/ ٧/ ك/ الغزوات/ ب/ شهود الملائكة بدراً/ ٣٩٩٥، ٤٠٤١.

و«لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه، فاخرج إليهم، قال: إلى أين؟ قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ»(١).

وقال أنس رضي الله عنه: كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غَنْم، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة»(٢).

وبينما رجل من المسلمين يومئذ - أي يوم بدر - يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الانصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة قتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين»(٣) وعن أبي التياج قال: قلت لعبد الرحمن بن حُبيش، وكان شيخاً كبيراً: أدركت النبي ﷺ؟ قال: نعم قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ قال: جاءت الشياطين إلى رسول الله ﷺ من الأودية وتحدرت من الجبال، وشيطان معه شعلة نار، يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ فأُرعب منهم، وجعل يتأخر وجاءه جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل، قال ما أقول قال قل: أعوذ بكلمات الله التامات.. الحديث(٤).

---

(١) الفتح/ج/٧/٤١١٧.

(٢) الفتح/ك/ الغزوات/ب /غزوة بني قريظة/٤١١٨.

(٣) مسلم مع النووي/ج/١٢/ك/ الجهاد والسير/ب/الإمداد بالملائكة في غزوة بدر/ص/٨٥.

(٤) أخرجه أحمد في المسند/ج/٣/٤١٩، والنسائي في عمل اليوم والليلة/ب/ذكر ما يكب العفريت/ج/٦/٢٣٧ عن ابن مسعود ومالك في الموطأ/ ك/الشعر، وقال في =

وعندما أئتمر الملأ من قريش لقتله عليه الصلاة والسلام جاءه جبريل فأخبره بذلك[١]، وكذلك عندما أراد اليهود قتله عليه الصلاة والسلام أتاه جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقام من عندهم[٢].

فلك الله الحمد صاحب الفضل والمنة أن جعلت الملائكة لنا سنداً وظهيراً في مواجهتنا مع إبليس وجنده، ولعل الواقع المعاصر شاهد على ذلك أيضاً، فهذا الجهاد الأفغاني ضد الروس الملحدين وأذنابهم، وقد قص علينا شهود عيان قتال الملائكة معهم وأسرهم لمئات من الشيوعيين[*]، وحتى الأنباء من البوسنة الهرسك تأتي بمثل هذه الأخبار عن ظهور طائرات بيضاء لا تحمل أي علم ولم ترصد الرادارات الألكترونية جهة مصدرها ولا جهة عودتها تضرب الصرب وترجع، وليس للمسلمين هناك ولو طائرة واحدة[**].

= أوجز المسالك/ ج/١٥/ ٣٦/ أخرجه أحمد وأبو يعلى ولكل منهما بإسناد جيد والحديث أصله في مسلم/ك/المساجد/ب /جواز لعن الشيطان في الصلاة. وعزاه في كنز العمال إلى ابن أبي شيبة، والبزار وأبو زرعة وابن منده ودلائل النبوة للبيهقي الكنز/ ج/٢/ ١٦٥/ علاء الدين الهندي.

(١) انظر هامش ص (٨٦).

(٢) انظر الفتح/ ج/٧/ ٣٨٥، ورواه عبد الرزاق في المصنف/ ٩٧٣٢.

(*) ذكره الشيخ تميم العدناني رحمه الله عن الشيخ حكمتيار وكان قد ذكرها للشيخ ابن باز حفظة الله فبكي وقال: وما يعلم جنود ربك إلا هو.

(**) ذكرته صحيفة الرياض السعودية في بدايات عام ١٤١٤هـ ولا يحضرني التاريخ بالتحديد.

المطلب الثالث

التوبة والاستغفار ومضاعفة الأجور

روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه عن: النبي ﷺ قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(١).

وروى أيضاً عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في الفلاة، ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه هرولة(٢).

وهذا من فضله ورحمته سبحانه بعباده فهو العليم الخبير بنفوسهم وما تميل إليه من الشهوات التي يحسنها إبليس وجنده، لإضلال الناس وإغوائهم، فكانت التوبة منه سبحانه على عبادة من هذه المعاصي والأهواء التي زينها الشيطان رحمة منه وتفضلاً على عباده عز وجل.

* * *

---

(١) مسلم / ك / التوبة / ب / غيّرة الله عز وجل / ج / ١٧ / ٧٦.

(٢) مسلم / ج / ١٧ / ك / التوبة / ص / ٦٠.

المبحث الثاني:

التزام الشرع

* المطلب الأول: المواجهة بالالتزام الدفاعي.

* المطلب الثاني: المواجهة بالالتزام الهجومي.

والتزام الشرع الحكيم وهو أعظم سبيل، وهو الصراط المستقيم ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وروي أحمد والنسائي والحاكم وصححه أن النبي ﷺ «خط خطاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً وخط عن يمينه وخط عن شماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»[(١)].

فشرع الله هو الحصن الحصين والملاذ والملجأ القوي من كيد الشيطان، وفي التزامه سعادة الدنيا والآخرة وفي الإعراض عنه الشقاء في الدنيا والآخرة، وحين يلتزم الإنسان شرع الله حتى في الأمور المستحبة ترى ذلك اللعين يبكي ويدعو بالويل والثبور «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: ياويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»[(٢)].

فإن كان هذا في فعل الأمور المستحبة فما بالنا في الواجبات بل ما بالنا إذا واجهناه ووقفنا في صفوف حزب الرحمن لمجابهته هو وأوليائه وإعلان الحرب عليه وخوض المعركة.

إن الحرب معه كأي حرب أخرى لا تخرج عن أحد أمرين، إما دفاع وإما هجوم، وفي مواجهتنا مع الشيطان والتزامنا بالشرع تكون مواجهتنا دفاعيه وهجومية ولا نخرج فيهما عن شرع الله عز وجل.

---

(١) تقدم تخريجه/ ص (٤١).

(٢) تقدم تخريجه/ ص (١٢٩).

المطلب الأول

المواجهة بالالتزام الدفاعي

«تثبت الأركان»

إن البنيان الهش لا يصمد في وجه الرياح والحصن الضعيف يلج فيه الأعداء بيسر وسهولة ولذلك كان لا بد من تثبيت أعمدة البنيان وتقوية الحصن حتى يصمد في وجه العدو.

وما أجمل ما مَثَّلَ به ابن الجوزي – رحمه الله – حين صَوَّر المعركة مع إبليس تصويراً بديعاً حيث قال:

« واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب وفيه ثُلَمْ – وهو الوضع المتهدم منه – وساكنه العقل، والملائكة تتردد على ذلك الحصن وإلى جانبه ربض – وهو المكان الذي يؤوى إليه – فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائمه بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لاتزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبورمن بعض الثلم.

فينبغي للحارس أن يعرف أبواب الحصن الذي قد وكِّلَ بحفظه وجميع الثلم، وألا يفتر عن الحراسة لحظة، فإن العدو لا يفتر.

قال رجل للحسن البصري: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة(١).

فتثبيت الأركان والأعمدة الرئيسية في المواجهة أمر هام لا ينبغي الغفلة عنه، وتثبيت الأركان يكون بأمور عدة:

١ – الالتجاء إلى الله تعالى وذكره سبحانه:

لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا وأهلها، وغلبة الهوى، وخداع الأمل

---

(١) تلبيس إبليس/ ٤٩.

وتملك الشيطان، وقياد النفوس، ورأوا الدولة للنفس الأمارة لجأوا إلى حصن التضرع والالتجاء كما يأوي العبد المذعور إلى حرم سيده[١].

وحُكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ماتصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال أجاهده، قال: هذا أمر يطول، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أومنعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده جهدي وأرده، قال هذا أمر يطول ولكن أستعن بصاحب الغنم يكفيه عنك[٢].

فما ظنك بملك استولي عليه عدوه، وأنزله عن سرير ملكه وأسره وحبسه وحال بينه وبين خزائنه وذخائره وخدمه وصيّرها له، ومع هذا فلا يتحرك الملك لطلب ثاره ولا يستغيث بمن يغيثه، ولايستنجد بمن ينجده، وفوق هذا الملك ملكٌ قاهرلا يقهر، غالب لا يغلب، وعزيز لا يذل، فأرسل إليه: إن استنصرتني نصرتك، وإن أستغثت بي أغثتك، وإن التجأت إليَّ أخذت بثارك، وإن هربت إليّ سلطتك على عدوك وجعلته تحت أسرك[٣].

فيا لله وقد تسلط علينا الشيطان وجنده ولا نجيب نداء الملك القاهر العزيز الناصر ونلتجأ إليه ونتضرع إليه ونلهج بذكره فإنه الحصن الحصين والمانع القوي.

وها هو التاريخ خير شاهد إن لم يكن في قلبك رصيد سابق فها هو آدم عليه السلام بعد العصيان توجه إلى الله ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ونوح عليه السلام﴿ **قال رب انصرني بما كذبون** ﴾ [المؤمنون: ٢٦].

---

(١) الفوائد / ابن القيم / ٧٤.

(٢) تلبيس إبليس / ٤٨.

(٣) الفوائد / ٩٢.

﴿وقال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين، فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ [الشعراء: ١١٧ – ١٢٠]. ﴿فدعا ربه: أني مغلوب فانتصر، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء علي أمر قد قدر﴾ [القمر: ١٠ – ١٢] ثم تأمل في هذه الآية من قول الحق عز وجل سبحانه ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ [الصافات: ٧٥].

فقط كان النداء والتوجه والالتجاء وذكر الله فكانت الاجابة، وهذا هود عليه السلام بعد عناد قومه وتكذيبهم واستفراغ الوسع في دعوتهم التجأ إلى الله ﴿قال رب انصرني بما كذبون﴾ فكانت الإجابة ﴿قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاءً فبعداً للقوم الظالمين﴾ [المؤمنون: ٤٠ – ٤١].

وخليل الرحمن إبراهيم عندما أراد الفرعون بأهله سوءً التجأ إلى الله يصلي ويدعو ربه فأنجاها الله منه[١].

ولوط عليه السلام ﴿قال إني لعملكم من القالين، رب نجني وأهلي مما يعملون، فنجياه وأهله أجمعين، إلا عجوزاً في الغابرين، ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليه مطراً فساء مطرالمنذرين﴾ [الشعراء: ١٦٨ – ١٧٣].

﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين﴾ [العنكبوت: ٣٠].

وهذا نبي الله شعيب عليه السلام ﴿على الله توكلنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ [الاعراف: ٨٩] وكان الجواب بعد الالتجاء ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ [الأعراف: ٩١].

وكليم الله موسى عليه بالسلام، عندما فر من فرعون وملئه عندما أرادوا قتله وتوجه تلقاء مدين قال: ﴿عسى ربي أن يهديني سواء

---

(١) انظر هامش ص (٧٨).

﴿السبيل﴾ [القصص: ٢٢]. ولما تعب وبلغ منه النصب مبلغاً كبيراً قال: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ [القصص: ٢٤] ولما أتبعهم فرعون وجنوده ورأى أصحاب موسى أنهم مدركون قال لهم موسى: ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾ [الشعراء: ٦٢].

فلا ملجأ لنا ولا مفر ولا وجهة نتوجه إليها إلا إليه سبحانه، ومر بنا كم كانت هجمة الملأ شرسة في وجه دعوة الحق وخاصة مع رسل الله الكرام ولكن حين تلجأ إلى النصير المعين القوي الجبار العزيز، تتلاشى كل قوى الأرض بما جمعت وأعدت ورصدت وجهزت وخططت ومكرت،فالله راصد لهم مسجل لتدبيرهم، ثم ها هو غلام الأخدود حين أراد الملك إلقائه من فوق الجبل، التجأ إلى الله (اللَّهم أكفينيهم بما شئت) فرجف الجبل بهم جميعاً فماتوا ورجع هو، ولما أراد إغراقه في البحر، التجأ إلى الله (اللَّهم أكفينيهم بما شئت) فغرقوا جميعاً وعاد هو[(١)].

وخاتم النبيين البشير النذير ﷺ وهو في مكة وهو يصلي يقول ابن مسعود رضي الله عنه: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبوجهل وأصحابه له جلوس، وقد نُحِرت جذور بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه في كتف محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت هي وجويرة فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال: «اللَّهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا

---

(١) انظر هامش/ص (٩٦).

دعوته ثم قال «اللَّهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع ولم أحفظه» هذا كان الأذى من جند إبليس له ﷺ وهذا كان دعاءه ﷺ وكانت الإجابة، يقول ابن مسعود: «فو الذى بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذي سمي صرعى يوم بدر، قد سحبوا إلى القليب، قليب بدر»(١).

ويوم بدر يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللَّهم أنجز لي ما وعدتني، اللَّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتي سقط رداؤه عن منكبيه، فاتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من وراءه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾** فأمده بالملائكة(٢).

وهكذا عندما ينقطع الانسان عن التعلق بالأسباب الأرضية ويلجأ إلى مسببها يكون ذلك هو صريح الإيمان، ومن منّا واجه شدة أو ألمت به مصيبة أو أشتد عليه الأمر بصعوبات جسام وكان أول تفكيره وأول مبادرته اللجوء إلى الله عز وجل، وهذا أيضاً من وساوس ذلك اللعين يحاول أن يقيدك بالأسباب الأرضية، والمذاهب الدون والأفراد الفانين حتى تنقطع عن ربك الحكيم العليم البصير السميع الذي وسع سمعه وبصره كل المخلوقات.

---

(١) مسلم ج/١٢/ك/الجهاد والسير/ب/ ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين/١٥٢.

(٢) مسلم ج/١٢/ك/ الجهاد والسير/ب/إمداد الملائكة في غزوة بدر/ ٨٤.

فهاهم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم قد عرضنا لهم على عجل صور من لجوئهم إلى الله سبحانه ولنا فيهم أسوة وقدوة ﴿ **أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده** ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقد أرشدنا وشرع لنا ﷺ وأخبرنا أن الالتجاء إلى الله وذكره هو الطريق الأمثل والحصن الأقوى في المواجهة بالالتزام الدفاعي مع إبليس وجنده، وذلك من خلال أمثلة عدة نذكر منها.

*** تضييع الفرض:**

« يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم - إذ هو نام - ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ، انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان[(١)].

فذكر الله والوضوء والصلاة ملجأ قوي من تسلط الشيطان ومحاولته أن يجعل النفس خبيثة بالركون إلى فعله وأمره وترك أوامر الله عز وجل.

*** الطرد والتجويع:**

« إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء »[(٢)].

فذكر الله مانع قوي من نفاذ إبليس إلى البيت، واستحلال الطعام ولهذا جاء في الحديث الآخر أن طعامه فقط فيما لم يذكر اسم الله عليه.

« قال إبليس: كل خلقك بينت رزقه ففيما رزقي؟ قال: فيما لم يذكر اسمي عليه »[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥١).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٠٤).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية / ج / ٨ / ١٢٦ / طبعة دارالكتاب العربي، وصححه الألباني في السلسله الصحيحة رقم / ٧٠٨.

* **حفظ العورات:**

« ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم، إذا دخل أحدكم الكنيف أن يقول: بسم الله »(١).

وإبليس وجنده نفوسهم قذرة دائماً تتبع العورة والسوءة، وقد نزع عن آدم وزوجه لباسهما وهما في الجنة، وينزع هو وجنده وحزبه لباس التقوى من النفس، ولباس الستر من على الجسد فصار العري ظاهرة طبيعة وصار ظهور العورات أمر مستساغ لدى الناس ولا حرج فيه، ولكن حين نلتزم الشرع فلن يستطيع ذلك حتى في الأماكن التي لا بد لك من كشف عورتك بها، فلله الحمد والفضل أن جعل الالتجاء إليه وذكر اسمه ما نعاً لأعين إبليس وحزبه.

* **تنحية الشيطان:**

« من قال حين يخرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كفيت ووقيت، وهديت وتنحى عنك الشيطان »(٢).

فهل هناك أيسر من هذه الكلمات، وهل هناك ثمرة لها أعظم من تنحي الشيطان عنك!؟

* **الحرز من الشيطان:**

« من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مئة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان حتى

---

(١) ابن ماجة/ك/الطهارة/ب/ ما يقول إذا دخل الخلاء/٢٤٢.

(٢) الترمذي/ك/الدعوات/ب/ما يقول إذا خرج من بيته/٢٧٢٤، وصحيح الكلم الطيب/٤٤.

يمسي»[١].

فلو أراد أحدنا أن يعتق عشرة رقاب،كم كان يدفع من مال؟ أو أراد أن يأتي بحارس له يحرسه من عدو له، كم كان يعطيه أجراً على ذلك؟ وقد جعل الله هذا الذكر بمنزلة ذلك وزاد عليه كتابة مئة حسنة، ومحو مئة سيئة.

فيا له من فضل عظيم منه سبحانه أن جعل الالتجاء إليه دافعاً للشيطان ومضاعفاً للأجور ومحو للسيئات.

٢- الاستعاذة بالله:

قال تعالى: ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم**﴾ [الاعراف: ٢٠٠].

قال ابن كثير: والاستعاذة هي الالتجاء إلي الله تعالي، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر... ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم، لا يضرني في ديني ودنياي أو يصدني عن فعل ماأُمرت به أو يحثني على فعل ما نُهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمرتعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل له ليرده طبعة عماهو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لايقبل رشوة ولا يؤَثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه[٢].

وقد دلنا الشرع الحنيف على مواضع الاستعاذة والتي فيها تحصين للنفس من هذا اللعين وشره وشركه وأفعاله والتي تطيب بها النفس من

---

(١) الفتح /ج/١١/ك/الدعوات/ب/فضل التهليل/٦٤٠٣، وأحمد مع شاكر/٧٩٩٥، وصحيح الكلم/٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج/ ١/ ٢٨.

الخبث الإبليسى والرجس الشيطاني .

* **عند قراءة القرآن :**

قال تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ [النحل : ٩٨] .

* **عند الوسوسة :**

« يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول : من خلق ربك؟ فاذ بلغه فليستعذ بالله ولينته »(١) .

والتشكيك في ذات الله عز وجل ووجوده سبحانه هو من أصول الدعوة الإبليسية فحين يفكر المرء في كُنْة الوجود الإلهي وصفته، يكون ذلك أقرب مايكون للكفر، وهو المصطلح عليه بكفر الشك وكانت الاستعاذة سداً لذريعة الشرك .

* **عند الحلم :**

« الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره »(٢) .

* **عند دخول الخلاء :**

« اللَّهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث »(٣) .

والخبث هم ذكور الشياطين، والخبائث إناثهم، وهذا هو النجس الحقيقي لا المجازي فهذه الأماكن مع نفرة النفس منها وقذارتها هي مسكن

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥١) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٥٢) .

(٣) الفتح / ج / ١ / ك / الوضوء / ب / ما يقول عند الخلاء / ١٤٢ ، / ك / الدعوات / ب / ما يقول إذا دخل الخلاء / ٧٠ .

للشياطين ولهذا أُمرنا بالتعوذ عند دخولها.

* **عند الغضب:**

«إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد من الغضب» فقالوا ما هي يا رسول الله؟ «قال يقول: اللّهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم»(١).

وفي الغضب يخرج الإنسان عن طبعة وسجيته المعتاده إلى أفعال غالباً لا تكن محمودة - إلا الغضب لله ولدينه - والخروج عن الطبع السليم القويم مطلب إبليس ليستدرج به المرء إلى حبائله ولذلك جاءت الاستعاذة ما نعاً من الانسياق وراء ما أراد اللعين.

* **عند دخول المسجد:**

«أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»(٢).

وهو لا يكف عن الوسوسة والإضلال، بل ويشتد في ذلك في الأماكن التي يكون التوجه فيها لله سبحانه كالمساجد فجاءت الاستعاذة عند دخول المسجد مانع وقائي من وسوسته أثناء الصلاة.

٣ - ترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس:

وهذه المهمة الثالثة والركيزة القوية التي يعوّل عليها في المواجهة بالالتزام الشرعي...

---

(١) الفتح/ج/٦/بدء الخلق/ب/مانهي عن السباب واللعن/٣٢١٢، وج/١٠/ك/الأدب/ب/الحذر من الغضب، ومسلم/ج/١٦/ك/البر والصلة/ب/فضل من يمسك غضبه/ص/١٦٤، وأحمد/ج/٥/٢٤٤.

(٢) أبو داود مع عون المعبود/ج/٢/ك/الطهارة/ب/ما يقول الرجل إذا دخل المسجد/٤٦٢، وصحيح الجامع/ ٤٧١٥/صحيح الكلم الطيب/٥٠.

وهذه المهمة تحتاج إلى جهد كبير ومتواصل لا يفتر ولا يضعف، فغرس العقيدة الصحيحة بشموليتها وإيقاظ الإيمان بصفات الله عز وجل وأسمائه وأفعاله الذي يجعل تعلق القلب به سبحانه لا بغيره من أسباب أرضية، مهمة لا يستهان بها وهي واجب عيني على كل مسلم تعلمها والسعي إلي فهمها ومعرفتها.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب:

«واعلم أن الله سبحانه من حكمته، لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً...**﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى: ﴿**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم..**﴾ [غافر: ٨٣].

إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يكون سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل لأقعدن لهم صراطك المستقيم»(١).

فأهل الفصاحة والحجج هم أهل النظريات والنظم والقوانين التي سُنت من نسيج شيطاني، وهم أهل الإعلام الفاجر والأدب الماجن والقلم الجائر المسموم، كل أولئك قاعدون للمسلم على طريق الهداية إلى ربه يضلونه ويلبسون عليه أمر دينه ويشككونه في عقيدته، وما يفترون ولا يهدأون، والجهل طريق التسلط الشيطاني على كثير من الناس، فحرموا ما أحل الله تعالى، وأحلوا ما حرم الله وتعبدوا الله بالبدع والمحدثات، وأنكروا أموراً

---

(١) مجموعة التوحيد/ ج/ ١/ ٩٦.

كثيرة من الدين بسبب جهلهم.

قال ابن الجوزي: «واعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس، هو الجهل فهو يدخل على الجهال بأمان، وأما العالم فلايدخل عليه إلا مسارقة وقد لبّس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم، لأن جمهورهم يشتغل بالعبادة ولم يحكم العلم[(١)].

فنشر الوعي بين عموم المسلمين بإفهامهم قضايا العقيدة كاملة ودون تجزئة هوأهم ركائز المواجهة مع الشيطان وحزبه، وحين يعلم الإنسان بحقيقة هذه المعركة ويترسخ بهذا العلم الإيمان في نفسه، يكون وقتها قادراً على الوقوف في صفوف عباد الرحمن، ونحن نرى كثيراً من الجهلة السفلة تسلط عليهم الشيطان وحزبه لمحاربة دين الله والدعاة إليه متكئين على جهلهم، فصاروا من أشد أعداء الله وأداة في يد الطغاة للنيَّل بهم من دعوة الحق، والدعاة إلى الله، حتى أن الواحد منهم ليقتل أخاه وأباه، بحجة أنه خارج عن النظم والقوانين الشيطانية، والتي صار من أتباعها وزين له الشيطان الانقياد له بجهله، وإن هذا الأمر - وهو ترسيخ العقيدة السليمة في النفوس - إن قلنا أنه بحاجة لثورة بلاغية، لم نكن مبالغين في ذلك، وكفى أن نرى أهل الباطل وحزب الشيطان وثوراتهم المتوالية المتتابعة للإفساد والإضلال ونحن أحرى بهذا الجد والصبر والمثابرة، لأننا نملك أمراً لا يملكونه، ألا وهو الإرتباط بالله العزيز الجبار، أما هم فمرتبطون بإبليس اللعين، وشتان بين رباط ورباط.

٤ - تحصين البيت:

إن للبيت المسلم مكانة عظيمة في الأمة فهو مصنع الرجال والأبطال وهو من الأركان الرئيسية في المواجهة، ولذلك توجه إبليس إليه بكل سراياه، فالبيت أمة مصغرة ففيه الرجل وفيه المرأة وفيه الشباب وفيه

---

(١) تلبيس إبليس/ ١٤٩.

الأطفال، والجميع هدف لإبليس وجنده ويتضح ذلك من الحديث الذي رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه «إن إبليس يضع عرشه علي الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجئ أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً، ثم يجئ أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين زوجته، قال فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت»(١).

يقول سيد قطب: إن البيت المسلم قلعة من قلاع العقيدة ولا بد من أن تكون القلعة متماسكة من داخلها وحصينة في ذاتها، كل فرد فيها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها، وإلا تكن كذلك سهل اقتحام العسكر من داخل قلاعه، فلا يصعب على طارق، ولا يستعصي علي مهاجم، وواجب المؤمن أن يُؤَمن هذه القلعة من داخلها، واجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً...(٢).

فأعظم الفتن عنده وأحبها إليه هو تدمير البيت والتفريق بين الزوجين، والذي يترتب على ذلك عادة من فساد في تربية الأولاد وتنشئتهم تنشئة غير طيبة، إن لم تكن فاسدة، بل يكفي أن يحطم أحد كيانات الأمة وعموداً من أعمدتها، فالبيت إذن هدف رئيسي لإبليس وجنده، بل ونجد محاولات إيقاع الخلافات بين الزوجين داخل البيت فروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي أمامة قال: «إن الشيطان يأتي إلى فراش أحدكم بعد ما يفرشه أهله ويهيئونه فيلقي عليه العود والحجر والشيء ليغضبه على أهله، فإذا وجد ذلك فلا يغضب على أهله، قال: لأنه من عمل الشيطان»(٣). ولهذا كانت هذه الهجمة الشرسة لوسائل الإعلام على

---

(١) تقدم تخريجه ص (٩٨).

(٢) الأسرة في ظلال القرآن/ ١١٢.

(٣) صحيح الأدب المفرد/ ب/ الشيطان يجئ بالعود والشيء يطرحه على الفراش/ رقم/ ٩٠٧.

البيت المسلم من مجلات خليعة ومسلسلات ومسرحيات وأفلام إلى غير ذلك من طرق الإفساد وإن سلم بيت من إحداها لم يسلم من الأخري، ولهذا جاءت المواجهة بالالتزام الشرعي لتحصين البيت المسلم منذ أن كان حوائطاً خالية من السكنى، فروى أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»(١) وهذا هو ما نعتبره طرداً مبكراً للشيطان من البيت المسلم(*).

* إتيان الأهل:

«أما إن أحدكم إذا أتى أهله قال: اللَّهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان مارزقتنا، فرزقا ولداً، لم يضره الشيطان، ولم يسلط عليه»(٢).

* تعويذ الأبناء وحفظهم:

«كان ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»(٣).

---

(١) أحمد في المسند/ مع شاكر/٧٨٠٨، ٨٤٢٤، ٨٩٠٢، ٩٠٣٠، والترمذي/ك/فضائل القرآن/ب/ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي/ ٢٣٠٨، وأحكام الجنائز/٢١٢/ أبي هريرة.

(*) ذكرت مجلة «جين أفريك» الفرنسية أن الرئيس الروسي بوريس يلتسن الذي قرر اتخاذ مبني البيت الأبيض «البرلمان الروسي» مقراً جديداً لحكومته، أمر بتطهيره أولاً من الشياطين والأروح الشريرة، وقالت المجلة أن رئيس أحد الأديرة تولى مهمة التطهير باستخدام البخور..!! (عن جريدة الأهرام المصرية ـ العدد/ ٣٩١٣١).

وهذا رئيس دولة شيوعي أي لا دين له يؤمن بوجود الشياطين وأنه لابد من تطهير البيوت منها قبل سكنتها، وبني قومنا يقولون أن هذا من الخرافات، وليس عفريت إلابني آدم..!!

(٢) تقدم تخريجه ص (١٠٤).

(٣) الفتح/ج/٦/ك/أحاديث الأنبياء/ ٣٣٧١.

«إذا استجنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، واغلق بابك واذكر اسم الله واطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله وخمر آنيتك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً»(١).

وفي الأحاديث السابقة نري مدى الاهتمام بحفظ الأولاد من الشيطان اللعين، فيبدأ التحصين من يوم أن يكون هناك مايسبب مجئ الولد، ثم تعويذهم وهم صغار رضع، ثم وهم صبيان كذلك يحفظون عن اللعب في أوقات يكون فيها للجن انتشاراً وحركة سريعة قد يتعرض فيها الأبناء إلى أذاهم وضررهم، وذلك أن الحفظ منذ الصغر قد يكون مانعاً كبيراً لتفادي الشيطان وجنده بعد ذلك في الكبر بنفس الصورة التي لو لم يكن فيها تحصين .

وحين يفشل في اختراق البيت عن طريق الأبناء لا ييأس بل يحاول ويحاول حتى يصل إلى مراده .

*** الاحتراز من الفواسق :**

«إذا نمتم فاطفئوا سرجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه – يعني الفأرة – على مثل هذا– يعني السراج – فيحرقكم»(٢).

فحتى الحيوانات صيّرها من جنوده وأتباعه لإحراق البيت المسلم .

*** ترك الترف والبذخ :**

«فراش للرجل، وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٣٤).

(٢) أبو داود مع عون المعبود/ج/١٤/ك/الأدب/ب/ إطفاء النار بالليل/٥٢٢٥/وصحيح أبو داود/ ٤٣٦٩ .

(٣) مسلم/ج/١٤/ك/ اللباس /ب/ كراهة مازاد على الحاجة من الفراش واللباس/٥٩ .

«إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان»(١).

والترف والبذخ مذمومان إذا كانا سبباً في مخالفة الشرع فما بالك بتسلط الشيطان من خلالهما، وسكنه مع أهل البيت وأكله معهم ونحن بإمكاننا طرده من البيت، وبإمكاننا تجويعه فلا يكون له عندنا مأوى ولا طعام.

*** النية عند الخروج من البيت:**

«مامن خارج - يعني من بيته - إلا بيده رايتان، راية بيد ملك وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله عز وجل أتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت رايته حتى يرجع إلي بيته، وإن خرج إلى ما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته»(٢).

والشاهد أن الشيطان يراقب الإنسان من أول خروجه من بيته فإن كان لمخالفة الشرع فحيهلا للشيطان وحزبه، وهذا مما يؤكد ويؤصل في النفس أن الشياطين أعلام على الفساد والضلال، ولا يدعون فرصة إلا وانتهزوها وطوعوها لغاياتهم ومراداتهم وأهوائهم ومصالحهم.

*** الحذر من دعوى تحرير المرأة:**

وهذه الدعاوى من أخطر ما يهاجم به اللعين وجنوده البيت المسلم فكما مر أن النساء من أهم جنود إبليس للفتنة وكذلك استخدمها جنده في كل وسائلهم في المواجهة وبلا استثناء ولهذا فهو يحاول لاختراقه البيت الاتكاء عليها أيضاً، إما باخراجها لفتنة الناس أو باختلاطها مع الأجانب

---

(١) مسلم/ج/١٣/الأشربة/ب/استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة/٢٠٥.

(٢) أحمد في المسند/ مع شاكر/٨٢٦٩.

عنها وحضورة ذلك الاجتماع.

«المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان»[(١)].

«ألا لا يخلون رجل بإمرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»[(٢)].

فهذه أبواب عدة قد انتصب إبليس وجنده لاختراق البيت من خلالها محاولين هدم هذا الكيان الضخم من كيانات الأمة، وفي المواجهة بالالتزام الشرعي لا بد لنا من التيقظ والحذر والحيطة من هذه الهجمات الشرسة المتوالية لئلا نؤتى من باب إن ولج فيه إبليس وجنده صَعُب علينا مواصلة المواجهة فلابد من ترسيخ أعمدة هذا البنيان بالالتزام بأوامر الشرع الحكيم الذي شرع لنا ما قد بيَّنا هنا بعضه، والله المستعان وهو المعين لنا في هذه المواجهة.

٥- تحصين النفس:

وآخر أهدافنا في ركيزة الالتزام الشرعي هو تحصين النفس، وإن كنت قد ذكرت آنفاً ما يكون منه تحصيناً للنفس إلا أنه لشدة الهجمة نرى بأننا بحاجة إلى المزيد، وذلك أن إفساد النفس في المنهج الإبليسي هو ركيزة هامة يرتكز عليها وخاصة إذا كان الإنسان علي قدر ما من المسئولية فَيَفْسد بفساده غيره كأن يكون حاكماً أو عالماً أو مؤدباً أو رب بيت أو غير ذلك وأيضاً فإن صفة الملازمة القدرية للشياطين مع الإنسان تحتم علينا زيادة البيان والإيضاح، ولتحصين النفس ضد هجمات إبليس وجنده أمور عديدة:

*** لزوم جماعة المسلمين:**

«عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٤).

(٢) الترمذي/ك/الفتن/ب/لزوم الجماعة/١٧٦٥٨.

الإثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة»(١).

«إن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض»(٢).

«عليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»(٣).

«الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب»(٤).

ونعني بلزوم جماعة المسلمين، المفهوم العام لهذا المعنى دون الالتزام أو التقيّد بمنهج ما، وإنما هو الالتزام لمنهج أهل السنة والجماعة كاملاً غير منقوص، وهي الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة(٥)، وقد تقدم أن الخلافة الإسلامية تعتبر بحد ذاتها حصناً منيعاً من إبليس وجنده، واليوم وقد خلت الديار عن الخلافة فإن لزوم جماعة المسلمين والتي تتمثل في التزام صفوف العاملين والداعين إلى الله عز وجل يعتبر كذلك من التحصينات القوية ضد هجمات الشيطان وحزبه.

*** الاستعلاء عليه واحتقاره:**

ومن سبل المواجهة الدفاعية لتحصين النفس: الاحتقار والانتقاص.

«لا تقل تعس الشيطان، فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صرعته، ولكن بسم الله، فإنك إذا فعلت ذلك تصاغر حتى يصير

---

(١) الترمذي/ك/الفتن/ب/لزوم الجماعة/١٧٥٨.

(٢) النسائي/ك/تحريم الدم/ب/قتل من فارق الجماعة/٣٧٥٣.

(٣) النسائي/ك/الصلاة/ب/التشديد في ترك الجماعة/٨١٧، وأبي داود مع عون المعبود/ك/الصلاة/ب/التشديد في ترك الجماعة/٥٤٣.

(٤) أحمد/ مع شاكر/٦٧٤٨، ٧٠٠٧/ومالك/ج/٢/ك/الجامع/ب/ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء/١٧٤، وأبي داود مع عون المعبود/ج/٧/ك/الجهاد/ب/ في الرجل يسافر وحده/ ٢٦٥٩٠، والترمذي/ك/الجهاد/ب/كراهية أن يسافر الرجل وحده/١٣٦٨.

(٥) انظر كتاب جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر د.صلاح الصاوي/ دارالصفوة القاهرة الطبعة الأولى/١٤١٣هـ.

مثل الذباب »(١).

« لا يحدثن أحدكم بتلعب الشيطان به في منامه »(٢).

« التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان »(٣).

والمرء عندما يتعامل مع الشيطان وجنده بطريقة الاستخفاف والإستهزاء يضعف أمامه كيدهم ومكرهم، فهو مكرٌ هيّن وواهٍ حين نلتزم شرع الله عز وجل « إن كيد الشيطان كان ضعيفا ».

* المخالفة:

إن من مسلمات اعتقادنا أن الشيطان وحزبه الذين هم جنده ونصرته وأوليائه من أصحاب الجحيم، وبما أننا التزامنا الصراط المستقيم وهو دين الله وشرعه، فلابد لأصحاب الصراط المستقيم من مخالفة أصحاب الجحيم، فمن المخالفة قوله ﷺ: « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله »(٤).

وقوله: « قيلوا فإن الشياطين لا تقيل »(٥).

* اسباغ الوضوء:

« إذا استيقظ أحدكم – أراه أحدكم في منامه – فليستنثر ما استطاع

---

(١) أبو داود مع عون المعبود / ج / ١٣ / ك / الأدب / ٤٩٦١.

(٢) مسلم / ج / ١٥ / ك / الرؤيا / ص / ٢٧.

(٣) تقدم تخريجه ص (٥٢).

(٤) مسلم / ج / ١٣ / ك / الأشربة / ب / آداب الطعام والشراب وأحكامهما / ١١٦ وأبوداود مع عون المعبود / ج / ١٠ / ك / الأطعمة / ب / الأكل باليمين / ٣٧٥٨، وأحمد مع شاكر / ٤٥٣٧، ٥٨٤٧، ٤٨٨٦، ٥٥١٤، ٦٣٣٢.

(٥) عزاه الألباني لأبو نعيم في الطب / ج / ١٢ / ١، وفي أخبار أصفهان / ج / ١ / ١٩٥، ٣٥٣، ج / ٢ / ٦٩ والطبراني في الأوسط / رقم / ٢٧٢٥ / ج / ١ / ٣، وقال إسناده حسن، انظر الصحيحة / ج / ٤ / ٢٠٢ / رقم / ١٦٤٧.

ثلاثاً، فإن الشيطان يبيت على خيشومه»(١).

قال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: يحتمل أن يكون قوله ﷺ يبيت على خياشيمه على حقيقته فإن الأنف أحد منافذ الجسم التي يتوصل إلي القلب منها لا سيما وليس من منافذالجسم ماليس عليه غلق سواه وسوى الأذنين، وفي الحديث أن الشيطان لا يفتح باباً غلقاً وجاء في التثاؤب الأمر بكظمه من أجل دخول الشيطان حينئذ في الفم، قال ويحتمل أن يكون على الاستعارة فإن ما ينعقد عن الغبار ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان والله أعلم(٢).

* **الخشوع في الصلاة:**

سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة؟ فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»(٣).

واللعين يعلم أن في الصلاة قرب من العبد لربه، ويعلم أن القرب من الله عصمة من زلله وشركه فلذلك لا يدع صلاته حتى يلبسها عليه بالالتفات والوسوسة.

* **ترك مركب السوء:**

«تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين، فأما إبل الشياطين يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها، ويمر بأخيه قد انقطع به الطريق فلا يحمله، وأما بيوت الشياطين فلم أرها».

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥٢).

(٢) النووي على مسلم/ج/٣/١٢٧.

(٣) الفتح/ج/٢/ك/الآذان/ب/الالتفات في الصلاة/٧٥١، ج/٦،/ك/بدء الخلق/ب/صفة إبليس وجنوده/٣٢٩١، والنسائي/ك/ السهو /ب/التشديد في الألتفات في الصلاة/١١٤٣/عائشة، وأبي داود مع عون المعبود/ج/ك/الصلاة/ب/الالتفات في الصلاة/٨٩٧.

كان سعيد يقول: لا أراها إلا هذه الأقفاص التي يستر الناس بالديباج(١).

«الخيل ثلاثة ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان فأما فرس الرحمن، فالذي يُربط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله في ميزانه، وأما فرس الشيطان، فالذي يقامر به أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان، فالفرس يربطها الإنسان يلتمس بطنها فهي ستر من الفقر»(٢).

وهذا حديث صريح في سباقات الخيل اليوم والتي يقامر ويراهن عليها الناس وقد حدد صفتها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام أنها خيل للشيطان ولا خير فيها، وعليه فإنه كذلك يدخل فيها كل سباق للمركبات سواء كانت طائرات أو سيارات أو درجات أوغير ذلك يقصد من وراءها المقامرة والرهان فهي جميعاً من تزيين الشيطان.

وبإنهاء الحديث عن تحصين النفس بالالتزام الشرعي، نختم المواجهة مع الشيطان بالالتزام الدفاعي، وإن كان الشرع الحكيم لم يكلفنا في هذه المواجهة غير ذلك مع إيقان النفس بجدوى ذلك، وعدم الاستهانة به، إذ يظن الإنسان أن التحرز من الشيطان بهذه الصفة ضعيف ولا يجدي، وهذا الذي أدى إلى ذلكم الخلل الكبير، فعندما خرجت المواجهة مع إبليس وجنده من صفة التحرز الجماعي وأخذت صفة المواجهة الفردية ضعفت آثارها على المجتمع كله، لا على الفرد فحسب، فاستشعار أهمية هذه الأمور في المواجهة الدفاعية أمر هام جداً والعمل به والمواصلة والمتابعة أمر أهم وأجدى.

---

(١) أبو داود مع عون المعبود ج/٧/ك/الجهاد/ب/في النجائب/٢٥٥١ والصحيحة/٩٣.

(٢) أحمد في المسند/ج/١/٣٩٥/ من حديث ابن مسعود والبيهقي في السنن الكبرى ج/١٠/٢١، وهو عند البخاري بلفظ قريب/ ك/الجهاد/ب/الخيل ثلاث/٢٨٦٠.

المطلب الثاني

المواجهة بالالتزام الهجومي

إن الطواغيت لا يرضيهم أن يكون للإيمان في الأرض وجود ممثل في جماعة من الناس لا تدين للطاغوت، وإن وجود جماعة مسلمة في الأرض لا تدين إلا لله ولا تعترف بسلطان إلا سلطانه، ولا تحكم في حياتها شرعاً إلا شرعه ولا تتبع في حياتها إلا منهجه.. إن وجود جماعة مسلمة كهذه يهدد سلطان الطواغيت حتى لو انعزلت هذه الجماعة وتركت الطواغيت لحكم الله حتى يأتي موعده.

إن طاغوت الباطل لا يطيق مجرد وجود الحق، وحتى حين يريد أن يعيش في عزلة عن الباطل تاركاً مصيرهما لفتح الله وقضائه فإن الباطل لايقبل منه هذا الموقف بل يتابع الحق وينازله ويطارده، وإن وجود الحق يزعج الباطل ، فإن هذا الوجود هو الذي يفرض المعركة مع الباطل، ذلك وليعلم أصحاب الدعوة إلى الله أن المعركة مع الطواغيت مفروضة عليه فرضاً وأنه لا يجديهم فتيلاً أن يتقوها ويتجنبوها، فالطواغيت لن تتركهم إلا أن يتركوا دينهم بالكلية ويعودوا إلى ملة الطواغيت بعد أن نجاهم الله منها وقد نجاهم الله منها بمجرد أن خلعت قلوبهم العبودية للطواغيت ودانت بالعبودية لله وحده فلا مفر من خوض المعركة والصبر عليها وانتظار فتح الله بعد المفاصلة فيها...[1]

وإن سلمنا بما مضى من حتمية مواجهة إبليس وجنده لدعوة الحق، فإنه كذلك من المسلمات عندنا والتي أمُرنا بها ومن أصول دين الإسلام بيان كفرهم وضلالهم، وكشف زيفهم، وبيان عوارهم وخبثهم، وهدم

---

(١) انظر حاشية ص (٨٣)، (٨٤).

أركانهم، واجتثاث أصولهم، وتجفيف أصول منابع وجودهم، وهتك أستارهم وفضح مناهجهم ونظمهم ونظرياتهم، وتحطيم آلهتهم وأصنامهم، وكل ذلك من جهادهم الذي أمر الله تعالى به فقال: ﴿**فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً**﴾ [النساء: ٧٦].

فإن كانت المواجهة من قبلهم واقعة لامحالة فالأمر كما قال الشاعر:

فإن لم يكن من الموت بدٌّ فعارٌ عليك أن تموت جبانا

وكما قال الآخر:

فإن لم يكن غير الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وكما أن هجمات إبليس وجنده في ظاهرها شرسة قوية، فلا بد من أن تكون هجماتنا أشد وأشرس، وإن كان هو وأوليائه، يقاتلون ويصابرون ويواصلون ويكيدون ويمكرون وهم على علم ويقين بمصيرهم المقدور ﴿**لأملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين**﴾ [ص: ٨٥].

وإن كان أهل الباطل ومع علمهم أنهم على باطل وكفر وضلال وتكون هكذا نفوسهم وعزائمهم، فما بالنا نحن وهنّا وضعفنا ونحن لنا مدد وسبب في السماء، فالله ناصر دينه، ومعز أوليائه ولكن ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ [محمد: ٧] وهنا سنحاول وضع الأيدي على الأسس العملية للمواجهة مع الدعوة الإبليسية بشقها الهجومي بعد بيان الجانب الدفاعي وقد مضى.

ونذكر بأن من أهداف هذه الدراسة التأصيل الشرعي للقضية بنصوص الكتاب والسنة حتى ينضبط التصور الغيبي عنها.

وكأي مواجهة تكون هناك أهداف محددة نسعى لإنجازها والوصول إليها وتحقيقها، وهذا ما سنتعرض له بإذن الله.

* * *

أهداف الالتزام الهجومي

إن الدعوة إلى الله لها طريقان: طريق لين، وطريق قسوة، أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وإيضاح الدلالة في أحسن أسلوب وألطفه، فإن نجحت هذه الطريق، فبها ونعمت وهو المطلوب،وإن لم تنجح تعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده، وتقام الحدود وتُمتثل أوامره وتجتنب نواهية وإلى هذا الإشارة في قوله: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد**... الآية﴾ [الحديد: ٢٥] فهي الإشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب[١].

وإن لكل عمل غاية، ولكل غاية وسائل وأهداف وطرق للوصول إليها، وغايتنا رضى رب العالمين عنّا والسعي الحثيث لإقامة دينه وإعلاء كلمته، وفي المواجهة مع إبليس وجنده وللوصول إلى الغاية كان لنا هدفان: وثانيهما فرع من الأول.

وقد تبين لناهذا من خلال استقراء النصوص والسير وأقوال أهل العلم.

أولا: السعي لإقامة الخلافة:

تقدم أن السلطة عنصر قوي وهام بالنسبة لإبليس وجنده وركيزة عظيمة ينال من خلالها أهدافه الخبيثة، وتتجلى مظاهر هذه الأهمية في الآثار المترتبة على السلطة التي ينالها، وإن أعظم سلطة نالها هي الحكم الجاهلي، ونعني به كل حكم وشرع ونظام وقانون ومنهج وعمل لا يستند إلى شرع الله فضلاً عن كونه يرفض حكم الله وشرع الله ومنهج الله، ومعلوم ما للسلطان من قوة وهيمنة ونفاذ رأي وتسلط على من هو دونه، ولذلك

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ ج/ ٢/ ١٧٥.

فإن إقامة الحكم الإسلامي وإعلاء منهج الله وشرعه هو من الطامات الكبرى لإبليس وحزبه وأوليائه، ولقد كانت الخلافة الإسلامية حصناً منيعاً قوياً ولهذا سعوا للقضاء عليها، حتى أن وجود مايسمى خلافة إسلامية وإن كان مظهراً شكلياً لا تأثير له في الواقع ولا حتى في دولته فضلاً عن غيره لهو سبب قلق وانزعاج كبيرين لهم، وهذا كما حدث في إنهاء الخلافة العثمانية والتي قضى عليها أولياء الشيطان المقربون - اليهود - بواسطة كمال أتاتورك[١].

بعض الآثار المترتبة على غياب الخلافة:

ولقد كان لغياب الخلافة الإسلامية الآثار البالغة التأثير السلبي على عموم المسلمين في شتى بقاع المعمورة، وما نراه اليوم من مآسي للمسلمين في كل مكان ما هي إلا واحدة من أبرز مسالب غياب الخلافة الإسلامية، فأين من يحمي الأرض من أعداء الله، وأين من يحمي الرجال والشيوخ والأطفال من الذبح والقتل، وأين من يحمي النساء من انتهاك أعراضهن من أولئك الكفرة من يهود ونصارى وهندوس ومجوس، وإن المرء ليعجب من هذه الاحصائيات والتي تُسمع وتقرأ علينا ليلاً ونهاراً ولا نرى تغييراً ولا تبديلاً ولا عملاً جاداً مثمراً أمام ذلك التكتل الكفري بكل صنوفه من يهود ونصارى ومنافقين، وجميع ملل الكفر والذين تآمروا على القضاء على المسلمين[٢]، فليس منا صلاح الدين يلبي نداء القدس الذي دنسته

---

(١) راجع كتاب/ الرجل الصنم كمال أتاتورك / تأليف ضابط تركي سابق / ترجمة عبد الله عبد الرحمن/ مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة/ ١٤١٢هـ

(٢) انظر ما يبين حجم التآمر الدولي على البوسنة والهرسك/ مقال: قراءة في مأساة البوسنة/ تحالفات دولية/ لوليد نويهض/ جريدة الحياة اللندنية/العدد/ ١١٣٢٦، ومجلة المجتمع الكويتية/ العدد/ ١٠٥٣/ جريمة الغرب الكبرى ضد مسلمي البوسنة والهرسك.

يهود، ولا منا معتصم يلبي نداء الحرائر اللواتي انتهكت أعراضهن، بل رضينا بموقف المتفرج ورضينا بأضعف الإيمان.

وتذكر آخر الإحصائيات عن البوسنة مثلاً (١) مايلي:

أكثر من مليون مشرد، وأكثر من مئتي ألف جريح، وأكثر من مئة وخمسون ألف قتيل، وأكثر من أربعة عشر ألفاً وستمائة وخمسة وثلاثون مفقوداً، وأثنى عشر ألف حالة عجز دائم، ومئة وعشرون ألف أصيبوا بأمراض نفسية، وثمانين ألف امرأة مغتصبة مابين سن ثمان سنوات إلي ستين سنة، وأن عشرين ألف امرأة بوسنية حامل من جراء الاغتصاب، وأن خمسة عشر ألف طفل بيع في أوربا من أبناء المسلمين للتنصير.

هذا عن مأساة المسلمين في البوسنة، وإن ذهبنا إلى كشمير فقد لا يختلف الوضع كثيراً ويحدثنا أحد الأخوة الكشميرين وهو شاهد عيان عن بعض جرائم العدو الهندوسي وعملياته العسكرية ضد الشعب الكشميري المسلم فيقول: كانت هناك ثلاث عمليات.

الأولى: عملية نمر:

وهي عبارة عن مجموعة عسكرية من رجال الكوماندوز الهندوس المسلحين بدبابات وسيارات مصفحة ضد الرصاص، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من أفراد الجيش مجهزة بكافة الوسائل الهجومية وبألبسة مضادة للرصاص والنار، وتقوم مجتمعة بمهاجمة المنازل وإخراج الأطفال والمشايخ والعجزة، ثم تجري بحثاً دقيقاً عن المجاهدين داخل المنازل ويلقون القبض على الشباب ويتم إحضارهم إلى الساحة العامة أمام أعين والديهم وعامة

(١) عن إحدى الهيئات الإغاثية الإسلامية، وذلك حتى نهاية شهر رجب ١٤١٤هـ.

الناس مكتوفي الأيدي، ويقومون بذبحهم أمام مرأى ومسمع من الجميع، وربما بقروا بطون بعضهم، ثم يجبرون الناس على قذف القاذورات على جثثهم وحرقها بالنار وفي الفترة مابين ١٥ سبتمبر إلى ٢٠ أكتوبر عام ١٩٩٣م قتل بهذه الطريقة البشعة « ٥٠٠ » شاب.

نسأل الله أن يجعلهم من الشهداء.

العملية الثانية: عملية شيواء:

وتعني بالعربية قوة الآلهة الهندوسية وهي عبارة عن مجموعة من رجال الكوماندوز يستخدمون نفس الأسلوب الذي يستخدم في عملية «نمر» ولكنهم يبحثون عن العلماء وطلبة العلم من المسلمين الذين يساندون حركة الجهاد سراً، ثم يرشون أجسادهم بالبنزين ويقومون بإشعال النار فيهم حتى تحترق أجسادهم كاملة، والبعض يحُرق ببودرة البارود، أما المشايخ فيمسكونهم بلحاهم ثم يحرقونها بالنار.

العملية الثالثة: عملية النجم الأزرق:

وهي عبارة عن مجموعة من أفراد الجيش تقوم بتدمير أحياء ومساكن المسلمين بالقنابل ويهتكون أعراض النساء جماعياً وأمام مرأى من الجماهير، وينهبون أموال المسلمين وممتلكاتهم من مال ومزارع ومواشي... الخ... ويقومون بمهاجمة المزارع الإسلامية وإتلافها وإحراقها دون حسيب ولا رقيب[١].

في فلسطين الحال لا يخفى على أحد، وليست منا ببعيد مجزرة

---

(١) عن مجلة الشهادة/ عدد رمضان ١٤١٤هـ تصدر عن القسم الإعلامي لجبهة تحريك المجاهدين بجامو وكشمير.

وانظر كتاب/ جرح في قلب كشمير/ د. عبد الله الطيار صادر عن الندوة العالية للشباب الإسلامي ١٤١٤هـ.

جـرح مـضى وهناك جـرح بادي ... ومـصـائب جلت عن التـعـداد

في كل ناحـيـة وكل ثنيـة ... جـرح يصـيح بأمـتي وينادي

حـتى متي فـرعـون يقـهـر عـزتي ... وإلى مـتى هامـان ينهب زادي؟

وإلى مـتى سـيظل يقلق راحـتي ... كسرى، وقيصر يسترق بلادي؟

مـا في المـمـالك والمدائن سـالم ... من سـوط جـبـار وصـولة عـادي

كم تستغيث وتستجير وما ترى ... إلا جـمـاداً، أو شـبـيـه جـمـاد![1]

الخليل ومـاتلاها من فـواجع وآلام، وقل عن مـثل هذه الفـواجع في أوزبكستان وطاجستان وتتارستان والشيشان وغيرها من الجمهوريات الاسلامية وكثير من بلاد المسلمين.

ولقـد آلم كل الذي يحـدث النفـوس المؤمنة، آلمهم حـال إخـوانهم المستضعفين، آلمهم ما قد آل إليه أمر الأمة المسلمة، وآلمهم كذلك تقلب الذين كفروا في البلاد، يسعون في الأرض فساداً ويذيقون المؤمنين سوء العذاب.

يقول سيد قطب:

وتقلب الذين كفروا في البلاد، مظهر من مظاهر النعمة والوجدان، ومن مظاهر المكانة والسلطان، وهو مظهر يحيك في القلوب منه شيء لا محالة، يحيك في قلوب المؤمنين وهم يعانون الشظف والحرمان ويعانون الأذى والجهاد، وكلها مشقات وأهوال بينما أصحاب الباطل ينعمون ويستمتعون، يحيك منه شيء في قلوب الجماهير الغافلة، وهي ترى الحق

---

(١) من قصيدة/ صرخة في طريق المجد/ عبد العزيز الشهري/ مجلة البيان/ العدد/ ٧٩.

وأهله يعانون هذا العناء، والباطل وأهله في منجاة، بل في مسلاة، ويحيك منه شيء في قلوب الضالين أنفسهم فيزيدهم ضلالاً وبطراً ولجاجاً في الشر والفساد[١].

واجب المسلمين:

ومع هذه الشدة التي تمر بالمسلمين مع غياب الخلافة الإسلامية لا بد للمسلمين من دور فعّال في تغيير هذه الأحداث، وعليهم ألا يرضوا بأضعف الإيمان، وهنا نذكر طرحين للعمل على تغيير هذه الأحوال، أحدهم قولي، والثاني فعلي.

الأول: قولوا للذين كفروا ستغلبون:

إنه مع هذه الشدة وهذه المحنة وتلك الآلام يخرج لنا نور إلهي ونص قرآني يرشدنا إلى الخروج من هذا كله ولا يكلفنا الكثير.

يقول تعالى: ﴿ **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد** ﴾ [آل عمران: ١٢].

وسبب نزول هذه الآية كما رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر، فقدم المدينة، جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يُصيبكم ما أصاب قريشاً» فقالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك أنك قتلت نفراً من قريش أغماراً لا يعرفون القتال إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تأت مثلنا.

فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿ **قل للذين كفروا**... الآية ﴾[٢].

---

(١) في ظلال القرآن/ ج/ ١/ ٥٤٣.

(٢) أخرجه الطبري/ ج/ ٣/ ١٩٢/ في التفسير، وأبوداود/ رقم/ ٣٠٠١، وابن اسحاق والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.

قال الشوكاني:

وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وفتح خيبر، وضرب الجزية على سائر اليهود[١].

والخطاب القولي لا بد وأن يوجه إلى ثلاث فئات من الناس:

أ- توجيه الخطاب إلى عموم ملل الكفر، والتي تحارب الله صباح مساء، وتحارب دينه والدعاة إليه، وتهديدهم وتخويفهم وإرهابهم بمصائرهم وماهم مقدمون عليه من عذاب ونكال دنيوي وأخروي إن لم يرجعوا عن هذه الحرب ويؤمنوا بالله الواحد الأحد.

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي:

هذا الخطاب تخويف للكافرين وأنهم لا بد أن يغلبوا في هذه الحياة الدنيا[٢].

وإن الخطاب المنكسر الذليل المسترضي ملل الكفر لا بد وأن يتعدى ميقاته وليس على من تجاوزه دم على أحد القولين!!

ولقد كان هذا هو فعل رسول الله ﷺ مع جميع الكفار وكان يأمر أصحابه بهجاء المشركين مما هو مبسوط في كتب السنة والسير، ومنها مارواه أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[٣] فجعل النبي ﷺ للسان جهاداً، وأيضاً ما رواه مسلم والنسائي والترمذي «اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق بالنبل...»[٤] وكان النبي ﷺ قد

---

(١) فتح القدير/ ج/ ١/ ٣٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن/ ج/ ١/ ١٢١.

(٣) أبو داود/ ك/ الجهاد/ ب/ كراهية ترك الغزو/ رقم/ ٢١٨٦، وصحيح سنن النسائي/ ك/ الجهاد/ ب/ وجوب الجهاد/ ٢٩٠٠.

(٤) مسلم/ ج/ ١٦ك/ الفضائل/ ب/ فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه/ ص/ ٤٨/ والنسائي/ ٢٦٩١، والترمذي/ ٦١٣١.

أمر بعض أصحابه بهجاء المشركين حتى دخل عليه حسان بن ثابت رضي الله عنه فلما رآه عليه الصلاة والسلام قال: « قد آن لكم أن ترسلوا هذا الضارب بذنبه، » فشبهه عليه الصلاة والسلام بالأسد في انتقامه إذا اغتاظ، وعندما سمع حسان ذلك، أدلع لسانه فجعل يحركه وقال: « والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم » فلما انتهى رضي الله عنه من هجاء المشركين قال عليه الصلاة والسلام: « هجاهم حسان فشفى واشتفى »(١).

أي شفى المؤمنين واشتفى هو بما ناله من أعراض الكفار، ونافح عن الإسلام والمسلمين، فالخطاب الشديد يشفي الصدور ويحقر العدو ويقللهم في الأعين، وقد وجه النبي ﷺ خطابه إلى ملوك العالم يتهددهم ويتوعدهم بالهلاك إن لم يؤمنوا بالله الواحد الأحد فهذا خطابه إلي ملك الروم هرقل « أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين »(٢) وبعث بمثله إلى قيصر عظيم الفرس، وهذا حاطب بن أبي بلتعه رضي الله عنه عندما أرسله الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس عظيم مصر وسلمه الخطاب، خاطبه قائلاً بعلو الإيمان وعزة المؤمن: إنه كان قبلك ملك يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك(٣)، وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما توجه إلى ملك عُمان بخطاب النبي عليه الصلاة والسلام فكان مما قاله.. إن لم تُسلم اليوم وتتبعه – أي رسول الله – يُوطئك الخيل ويُبيد خضرائك، فأسلم تسلم ويستعملك على قومكم ولا تدخل عليك الخيل والرجال(٤).

---

(١) انظر مسلم مع النووي/ج/١٦ ك/الفضائل/ب/فضائل حسان بن ثابت/٤٩.

(٢) البخاري/الفتح/ج/٦/ك/ الجهاد/٢٩٤٠، ومسلم مع النووي /ج/١٢/١٠٧ واللفظ له.

(٣) انظر عيون الأثر/ ابن سيد الناس/ج/٢/٢٦٥، وشرح المواهب للزرقاني/ج/٣/٣٤٨.

(٤) عيون الأثر/ج/٢/٢٦٧، وشرح المواهب/ج/٣/٣٥٢.

فهو – رضي الله عنه – في بلده وملكه وقصره ويوجه له ذلك الخطاب الشديد اللهجة، وكان هذا الإرهاب الخطابي جاء به أمر إلهي من الله سبحانه حيث قال: ﴿ **لأنتم أشد رهبة في قلوبهم من اللّه ذلك بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ [الحشر: ١٣].

فهم ما خافوا الله ولا آمنوا به، ولذلك لا يخشونه ولكن يخشون إرهاب المؤمنين لهم وتخويفهم إياهم فكان لا بد من توجيه ذلك الخطاب الشديد لهم على كفرهم بالله وتوعدهم بمصائرهم ولمحاربتهم للمسلمين وهذا من جهادهم المأمور به.

ب- توجيه الخطاب كذلك إلى عموم المسلمين لإعادة روح الفرح والأمل في صدورهم، ونزع الهيبة المصطنعة من أعداء الله وتبشيرهم بوعد الله بالنصر والتمكين.

قال ابن عطية:

وفائدة الخطاب للمؤمنين: تثبيت نفوسهم وتشجيعها(١).

وقال ابن كثير:

إن الله معز دينه وناصر رسوله ومظهر دينه ومعلٍ كلمته(٢).

ومما يثبت الله به المؤمنين، قذف الرعب في قلوب الكافرين. قال تعالى: ﴿ **سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا باللّه مالم ينزل به سلطاناً ومأواهم جهنم وبئس مثوى الظالمين** ﴾ [آل عمران: ١٥١].

قال القرطبي:

أي سنملأ قلوب المشركين خوفاً ورعباً بسبب إشراكهم بالله مالم ينزل به سلطاناً(٣).

---

(١) المحرر الوجيز/ ج/ ٣/ ٣٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج/ ١/ ٣٥٠.

(٣) تفسير القرطبي/ ج/ ٤/ ٢٣٢، وانظر/ تفسير السعدي/ ج/ ١/ ٢٧٩.

وقال عليه الصلاة والسلام: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»(١).

قال ابن حجر:

وهل هي حاصلة لأمته من بعده؟ فيه احتمال(٢).

وروى الطبري بسنده «لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة، انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق، ثم إنهم ندموا فقالوا: بئس ما صنعتم! إنكم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريّر تركتموهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا(٣).

وإلقاء الرعب في قلوب الكفار هو طمئنة لقلوب المؤمنين بأن لهم سند قوي هو الله سبحانه وتعالى، ويزداد الاطمئنان عندما يعلو صوت الكفر مهدداً ومخادعاً بأنه يملك النيّل منهم، ولكن الإيمان يعلو ويفوض أمره إلى الله عز وجل، يقول سبحانه ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

وهذا الشيطان اللعين الذي حرك حزبه لتذبيح المسلمين والنيّل منهم يحاول زعزعة المؤمنين ببث الشائعات عن تجمع الكفر وما يرصده لحرب المؤمنين لكي يثنيهم عن مواصلة الجهاد، ولكن رصيد الإيمان يعلو في نفوس المؤمنين ليقول: ﴿**حسبنا الله ونعم الوكيل..**﴾.

---

(١) الفتح/ج/١/ك/التيمم/ب/حديث نزول آية التيمم/٣٣٥/ ومسلم/٥/ك المساجد ومواضع الصلاة/ص/٣.

(٢) الفتح/ج/١/٥٢١.

(٣) تفسير الطبري/ج/٣/١٢٤.

قال القرطبي :

قال علماؤنا : لما فوضوا أمرهم إليه واعتمدوا بقلوبهم عليه أعطاهم من الجزاء أربعة معان : النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضى، فرضاهم عنه ورضي عنهم(١).

جـ: توجيه الخطاب كذلك إلى أولئك المنافقين الذين يقولون لإخوانهم من بني يهود ﴿**لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً، ولئن قوتلتم لننصرنكم، والله يشهد إنهم لكاذبون**﴾ [الحشر: ١١].

وتذكيرهم بمصير زعيمهم ومقدمهم ابن سلول «الدرك الأسفل من النار» وأنهم لن تنفعهم حجتهم في المسارعة لموالاة أهل الكفر، ذلك بأنهم قالوا «نخشي أن تصيبنا دائرة» وليعلموا أن كل ما قدم عليه أولياؤهم من أفاعيل هو شر لأنفسهم قد مهدوه للمؤمنين للقضاء عليهم «يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين» فاعتبروا يا أهل النفاق.

قال مجاهد : عند قوله تعالى ﴿ ... **ستغلبون وتحشرون إلي جهنم وبئس المهاد** ... ﴾ قال : بئسما قدموا لأنفسهم(٢).

فكل ما قدمه أولياؤكم هو خسار عليكم وعليهم ولن يضر المؤمنين شيئاً. قال تعالى : ﴿**ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً، يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم**﴾ [آل عمران: ١٧٦].

قال الطبري : لا يحزنك يا محمد الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق(٣).

وقال السدي : الذين يسارعون في الكفر : يعني به المنافقين(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / ج / ٤ / ٢٨٢.

(٢) انظر تفسير الطبري / ج / ٣ / ١٩٢، والمحرر الوجيز / ج / ٣ / ٣٥ / والقرطبي / ج / ٤ / ٢٤.

(٣) تفسير الطبري / ج / ٣ / ١٨٤.

(٤) القرطبي / ج / ٤ / ٢٨٤.

فتوجيه الخطاب إلى هؤلاء وإرهابهم وهم أعدى أعداء المسلمين ضرورة شرعية، لكف دسائسهم وقذف الرعب في قلوبهم والتحذير منهم وبيان أوصافهم.

وإنه مع هذا العلو الشاذ لأهل الكفر وارتفاع أصواتهم وأسلحتهم في وجوه المسلمين فلا بد من توجيه الخطاب الحاد مادمنا قد رضينا بأضعف الإيمان، ومهما علا الباطل واشتد الكرب فينبغي بأن لا ينخدع به المؤمنين، بل يقذفوا بالحق على الباطل فيدمغه ويقرروا المسلمات العقيدية عندهم ﴿ **كتب اللَّه لأغلبن أنا ورسلي إن اللَّه لقوي عزيز** ﴾ [المجادلة: ٢١].

ويقولوا «للذين كفروا استغلبون وتحشرون إلى جهنم».

الثاني: أروا الله من أعمالكم خيراً:

إن القول وحده لا يكفي وإن كان له بالغ الأثر في مجاهدة أعداء الله عز وجل ولكن قول بلا عمل يظل حاله كحالات الشجب والاستنكار والإدانة والتي اعتادت مسامعنا عليها عندما تلم بالمسلمين المصائب، وإن الناظر إلى أهل الكفر وخاصة النصارى وجهدهم في تنصير المسلمين وهذه الكتائب التي حشدوها لإخراج المسلمين من دينهم والتي تعمل ليلاً ونهاراً في الجبال وفي الغابات، ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب وهم يعلمون أنهم على باطل وكفر وضلال، ولكن لا يتوانوا عن العمل الدؤب والمستمر، ونقول العمل ليس الخطابة والإدانة، فأين أعمال المسلمين لنصرة دينهم وإخوانهم في كل مكان؟!

إن حال الأمة المسلمة يتطلب عملاً كبيراً وضخماً لتبديل الحال التي نراها إلى خير منها نأمل فيها، ويتطلب العمل جهداً أكبر وخاصة في هذه الأوقات والتي فرضية السعي فيها أولى من غيرها لأنها أوقات شدة ومحنة ومن هذه الأعمال التي يجب على المسلمين القيام بها:

١ - الجهاد بالنفس:

إن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وهو الذي فتح به المسلمون الأوائل الدنيا، فما انتشر الإسلام - بعد فضل الله - إلا به وما أعز الله المسلمين إلا بجهادهم في سبيله، وما ضُربت عليهم الذلة والصغار وتمكن عدوهم منهم إلاعندما تركوا الجهاد، وإن المرأة العمورية عندما صفعها ذلك العلج الرومي ونادت وامعتصماه هب لنصرتها المعتصم وجيّش الجيوش حتى أخذ لها حقها واليوم وقد علا صراخ المسلمين والمسلمات، ولا مجيب ولا ملبي للنداء، فمن لنساء وأطفال وشيوخ المسلمين الذين يسامون سوء العذاب يحررهم من هذه الكارثة إلاسيوف المجاهدين في سبيل الله، فهم لن ينصرهم النصارى ولااليهود، بل هم أول من تآمر عليهم.

وما علم الله عز وجل من عباده صدقاً في جهادهم إلا نصرهم ومكن لهم، فليرى الله منا صدقاً في نصرة إخواننا بالجهاد بالنفس.

٢ - الجهاد بالمال:

وهو صنو الجهاد بالنفس ولا رجال إلا بمال ولا عتاد إلا بمال ولامأوى لإخواننا إلابالمال، فكم منهم من لا يجد المكان الذي يأوي إليه أو اللباس الذي يستره هو وأهله وبناته، وكم منهم من لا يجد اللقمة ليسدبها جوعته، ونحن في ترف ونعيم ولنسألن عنه يوم القيامة وعن هذا الخذلان لإخواننا المسلمين المشردين اللاجئين في كل مكان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جـ- الجهاد التعليمي:

يشهد قطاعاً كبيراً من المسلمين وخاصة أفريقيا غزواً تعليماً تنصيرياً ضخماً، والذي يراد من وراءه إخراج المسلمين عن دينهم واجتثاث جذورهم الإسلامية وقطع أواصر الرابطة القرآنية والتي تربطهم بباقي إخوانهم، ونحن في حاجة إلى إنشاء مراكز إسلامية تعليمية تقوم على نشر

الوعي الشرعي بين عموم أبناء المسلمين وتعليمهم دينهم الصحيح والعقيدة السليمة حتى يكون ذلك حصناً لهم من هذه الهجمات الشرسة من أعداء الله، وكذلك لإعداد أجيال تتحمل تبعات وهموم هذه الأمة المنكوبة.

والمطالب كثيرة والواجبات منها أكثر، ولكن حسبنا التذكرة، فمن لم يجُد بنفسه يجد بماله، ومن لم يجُد بماله فيلجُد بعلمه ووقته ولا نقول بأن يتوجه كل المسلمين لذلك ويتركوا بقية الثغرات ولكن لكي لا تُنسى هذه القضايا المفجعة فلنستقطع من أموالنا ومن أوقاتنا ومن جهدنا ما يكون فيه عوناً لإخواننا ولنصرة ديننا والله وحده المستعان.

طرق الوصول إلى إقامة الخلافة

وللوصول إلى إقامة الخلافة في مواجهتنا مع إبليس وجنده طرق نستطيع أن نجملها فيما يلي.

١- تربية القادة وإعدادهم:

كثيراً ما يبتهل الناس ويدعون «اللَّهم هيئ لهذه الأمة قائدا ربانياً يقودها بكتاب الله» اللَّهم آمين.

ولكن من أراد الولد طلبه بالنكاح ومن أراد النجاح جاهد وكابد في العمل وإن أردنا قائداً فلن يكون إلا من بين صفوف الدعاة إلى الله والعاملين في سبيل دينه ونصرة كلمته، فهو لن يأتي من عالم آخر يستنفذ كل هموم الأمة، لن يأتي بعصاً سحرية أو معجزة كونية، وإنما هو من بين هذي الصفوف، رجل يدعو إلى الله عاملاً لدين الله باذلاً طاقاته في نصرته.

ونحن لو نظرنا إلى الواقع بجدية حقة وتفكرنا هل نحن أعددنا أو نُعد قادة يحملون هموم أمة، ومآسي دول، وحُطام عقائد وأطلال دين عند عوام الناس؟ إن أقصى ما يُبذل هو إعداد أفراد قلائل لأعمال أقل من ذلك بكثير.

إن حلقات العلم وساحة العمل الإسلامي تحتاج لمسح جديد وقوي لانتقاء قادة للأمة، فنحن لن يسندنا غرب بقواه ولا شرق بأفكاره ونظرياته، ولاحتى بني جلدتنا بنفوسهم وأموالهم بل هم أسبق من الغرب والشرق لحربنا والوقوف في وجوهنا، وإن هذا الشتات والتفرق على عموم التوجه الإسلامي يحتاج إلى ما يمكن أن نسميه «**رؤوس حكمة**» فوسط هذا الزخم وكل هذه التدافعات الكثيرة والتداخلات الجمّة نجد الأمر بحاجة إلى هذه الرؤوس التي تكون بمثابة رؤوساً نووية يخشى منها

ويقدر لها قدرها وهي كامنة في مواقعها مثل ما يخشى منها عند انطلاقها.

وهذا عمر الفاروق رضي الله عنه رجل من المسلمين لن نقول كان يخافه غلمان المدينة، ولا تفْرق منه النساء، ولا يخشاه المشركين على شتى صنوفهم، إنما كان يخافه ويفرق منه ويخشاه الطاغوت الأكبر أصل الشر والفساد في هذه الدنيا، إبليس عليه لعنة الله، فلقد كان عمر فيه من القوة الجسدية ما فيه وفيه من التقوى والخشية والضعف والذلة لله عز وجل ما نعلم وفيه من الحكمة والحنكة والإدارة العسكرية والتنظيمية ما تشهد به كتب التاريخ والسير، وكان أيضاً مع هذا سمحاً سهلاً وكان شديداً قوياً وفيه كل صفات البشر، وحين اجتمع ذلك له كانت خلافته بل كان كونه هو خليفة المسلمين كان حرزاً قوياً ومانعاً من وقوع الفتن في الأمة.

قال حذيفة رضي الله عنه: كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتن؟ قلت: أنا كما قاله، قال: إنك عليه لجرئ، قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي، قال: ليس هذا أريد ولكن الفتنة التي تموج كموج البحر قال: ليس عليكم فيها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر. قال إذن لا يغلق أبداً قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقاً فسأله فقال الباب: عمر[١].

وإننا على يقين أن في هذه الأمة قادة لا قائداً واحداً ولكن أمامنا كثيراً

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٠٣).

من العوائق الجسيمة، والتي في مقدمتها حب الذات وتغلب الدنيا على القلوب وعدم صدق الإخوة وعدم الإدارك الحقيقي لمتطلبات الأمة وإغفال تحديات الواقع.

فهذه أمراض فتاكة تقف عائقاً قوياً أمام ظهورأولئك القادة، فعلى الدعاة والمربين إعداد الناس على أخلاق عمر وأمثاله وغرس عكس هذه العوائق السابقة في النفوس مع صبر ومصابرة وإخلاص وتوجه صادق لله عز وجل.

٢- ترك الفرقة والاختلاف المذموم:

لا يقلب المرء نظره يمنة أو يسرة أو يسترق السمع من هنا أو هناك إلا ويجد فرقة واختلافاً بين كثير من الدعاة والعاملين في الدعوة إلي الله عز وجل، وهذا ما يحبه الشيطان وجنده ويرضوه، وإلافهم أصول هذه الفرقة ومسعري نارها.

فعن ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: كان الناس إذا نزلو منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية فقال لهم رسول الله ﷺ «إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية. إنما ذلكم من الشيطان» فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم[١].

وعلى الرغم من هذه الصعوبات الجمة والمخاطر الجسام والتحديات الكبّار والتي لا تحتاج إلي جهد كبير لإدراكها وإدراك مدى تأثيرها في العمل الإسلامي، إلا أنك تجد هذه الفرقة تتسع والبون في الاختلاف صار شاسعاً.

(١) الحاكم في المستدرك ج/٢/١١٥، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصحيح سنن أبي داود/ ك/الجهاد/رقم /٢٢٨٨.

وكم نحن بحاجة إلي فهم وإدراك الأبعاد الخلافية وكيفية معالجتها وفهم فقهها، وسلفنا رحمهم الله كانوا على إدراك كبير لمثل هذه الاختلافات.

فهذا يونس الصدفي رحمه الله يقول: ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة(١) وعقب الإمام الذهبي على هذا بقوله: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقة نفسه(٢).

وهذا الإمام أحمد رحمه الله تعالى يقول عن إسحاق بن راهويه: لم يعبر هذا الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً(٣).

فالخلاف واقع وحاصل لا محالة في ذلك ولكن الفقة الواجب تجاه هذا الخلاف هو المطلوب، وفي المعركة والمواجهة مع الشيطان وحزبه نحتاج إلى الوحدة والائتلاف، لا الفرقة والاختلاف وإن كان هذا الحاصل هو مما جنت أيدينا وكسبت قلوبنا من معاصٍ وذنوب.

فروى البخاري في الأدب المفرد عن أنس أن النبي ﷺ قال «ماتواد اثنان في الله فيفرق بينهم إلا بذنب يحدثه أحدهما»(٤) وكم هي جهود

---

(١) سير أعلام النبلاء/ ج/ ١٠/ ١٦.

(٢) المصدر السابق/ ج/ ١٠/ ١٧.

(٣) المصدر السابق / ج/ ١١/ ٣٧١.

(٤) رواه أحمد في المسند مع شاكر/ ٥٣٥٧، والبخاري في الأدب المفرد، رقم ٤٠١، وفضل الله الصمد/ ج/ ١/ ٤٩٣ وصحيح الأدب المفرد/ رقم/ ٣١٠ وأبو نعيم في الحلية/ ج/ ٥/ ٢٠٢.

المخلصين من الدعاة والمفكرين والعاملين لتقريب المسائل الخلافية وإن كان إدراك مثل هذه المعاني المهمة - كالتي أشرت إليها - وإحياؤها بين الصفوف وتربية الأجيال عليها يساهم في تقريب هذه الخلافات، فسلف الأمة رحمهم الله أفقه منا بلا منازع في مسائل الاختلاف والفقه الواجب تجاهها وإحياء مثل هذه الآداب واستخراجها من بطون الكتب، نجد الحاجة إليها ماسة عن إحياء اختلافهم في المسائل الفقهية.

٣- بيان سبيل المجرمين:

لانعلم إجراماً كجرم إبليس وأوليائه وجنده، وأعظم جرمهم الشرك بالله عز وجل والدعوة إلى ذلك بل والسعي الحثيث من أجله وجر الناس إليه وصدهم عن سبيل المؤمنين بشتى صنوف الحيل والمكر.

لذلك كان لزاماً علينا في المواجهة فضح مناهجهم وبيان طرقهم المعوجة ونظرياتهم الكفرية، وأنظمتهم الباطلة وذلك باستعمال شتى صنوف الطرق والوسائل ما لم تكن محرمة أو مؤدية إلى محرم فبالكتابة والخطابة والصحافة والإعلام والدعوة الفردية والدعوة الجماعية والندوات والمحاضرات إلى غير ذلك مما يؤدي إلى كشف عوار أهل الباطل وبيان سبلهم النجسة، حتى يستبين طريق الهدى من طرق الضلال وأدعياء الشر من دعاة الخير.

٤- إعداد العدة:

قال تعالى: ﴿**وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم...**﴾ [الأنفال: ٦٠].

ونرى اليوم وكل يوم إبليس وجنده وما يرصدونه لحرب دين الله عز وجل والدعاة إليه من أسلحة شتى سواء أكانت عسكرية أو إعلامية أو ثقافية، بل ويجمعون كل قواهم لقهر دين الله عز وجل.

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ [الصف: ٨].

ولهذا أمر الله سبحانه بإعداد العدة، ونرى أن هناك تنوعاً في الآراء حول ماهية هذا الإعداد، ولن نذهب بعيداً فالآية واضحة وصريحة فلقد قال سبحانه: ﴿ وأعدوا لهم ما ستطعتم ﴾.

وهي كقوله تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فجعله الله ابتداء على قدر الاستطاعة ولم يشترط علينا إعداداً يفوق إعداد حزب الشيطان، وأحسب أن هذا مخالف للسنة، ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف:١٠٣] وقوله ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فالأكثرية من حيث العدد مع حزب الشيطان، وكذلك العُدَد فالمسلمون في جل حروبهم كانوا هم الأضعف والأقل عُدة، ولكن هذا لا يعني عدم استفراغ الوسع في الإعداد، وينبغي الانتباه لأمرهام ذكره الله في الآية، بقوله: ﴿ ترهبون ﴾ أي إن هذه الأعداد وهذه العُدد ليس لها ضابط عدديّ أوكميّ، وإنما ضابطه الإرهاب لأعداء الله وقذف الرعب في قلوبهم، وإن كان ما نراه اليوم من خوف حزب الشيطان من مجرد تزايد أعداد الملتزمين بالكتاب والسنة، مجرد الالتزام، والانضمام لحزب الرحمن، هذا فيه إرهاباً لهم، فكيف بما هو فوق ذلك من إعداد تربوي وإعداد نفسي، وإعداد علمي، وتعبئة نفسية علي المواجهة مع الشيطان وحزبه وفوق ذلك كله إعداد العُدد، إن هذا كفيل بإرهابهم.

وقد يتساهل البعض في الإعداد بحجة أن الله ناصر دينه، ومعز أولياءه، وقاهرلأعدائه، ومعلي كلمته، نعم كل ذلك صحيح ولكن، لقد جعل الله الجهد البشري في مواجهة الفساد اختباراً لصدق الإيمان وامتحاناً لصحة الدعوى التي تقول: نحن من حزب الرحمن نواجه حزب الشيطان.

وكذلك هناك من غالى في الإعداد بحيث ارتكن إلى كل ما هو أرضي وقطع صلته بالله عز وجل، وهذا وذاك مجافاة عن الحق.

كانت هذه بعض الطرق المجملة للوصول إلى إقامة الخلافة الراشدة والتي هي الهدف الأول والأسمى الذي نسعى في الوصول إليه ثم نتعرض الآن للازم هذا الهدف وهي المواجهة القتالية.

ثانياً المواجهة القتالية:

وهنا يكون القتل والهدم والتحريق لكل ما هو مرتبط بإبليس وجنده ومنهجه، وقد مر بنا قتلهم للأنبياء والدعاة وخير عباد الله وتحريقهم والتشهير بهم وسجنهم وصلبهم وملاحقتهم في كل مكان إينما حلوا وأينما ارتحلوا.

ولكن قبل الشروع في بيان كيفية المواجهة وطرقها لا بد من وضع الضوابط لذلك حتى لا نخرج عن المنهج الشرعي في المواجهة مع إبليس وحزبه.

ضوابط المواجهة:

ومن خلال النظر في أقوال أهل العلم تبين أنه لا بد من اعتبار أصلين عظيمين في هذه المسألة وهما :

١- اعتبار عامل المصلحة والمفسدة المترتبة على ذلك.

٢- اعتبار عامل القدرة على القيام بهذا الفعل.

الاعتبار الأول: «المصالح والمفاسد»

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والأصل أن هذه الواجبات - أي إقامة الحدود - تقام على أحسن الوجوه، فمتى أمكن إقامتها من أمير لم يحتج إلى اثنين ومتى لم يقم إلا

بعدد ومن غير سلطان أقيمت إذا لم يكن في إقامتها فساد يزيد على إضاعتها فإنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن كان في ذلك من فساد ولاة الأمر أو الرعية ما يزيد على إضاعتها لم يدفع فساد بأفسد منه[١].

وقال: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً، إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار تقدير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة[٢].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:

إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله[٣].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

يشترط في جواز الأمر بالمعروف ألا يؤدي إلى مفسدة أعظم من ذلك المنكر لإجماع المسلمين على ارتكاب أخف الضررين ويشترط في وجوبه مظنة النفع، فإن جُزم بعدم الفائدة فيه لم يجب عليه[٤].

---

(١) الفتاوى/ ج/ ٣٤/ ١٧٦.

(٢) الفتاوى ج/ ٢٨/ ٢٩.

(٣) أعلام الموقعين/ ج/ ٢/ ٤١٣.

(٤) أضواء البيان/ ج/ ٢/ ١٧٥.

الاعتبار الثاني : «عامل القدرة»

قال القرطبي :

أجمع المسلمون فيما ذكره ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على من قدر عليه وأنه إذا لم يلحقه بالتغيير إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر بقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر المنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك.. وقال: والأحاديث في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة، ولكنها مقيدة بالاستطاعة(١).

وقال ابن تيمية :

من كان قادراً على إراقة الخمر، وجب عليه إراقتها ولا ضمان عليه(٢).

وقال ابن القيم :

لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً فإنها من شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات(٣).

وقال شيخ الإسلام العز بن عبد السلام :

والتقرير عن المعاصي كلها مفسدة لكن يجوز التقرير عليها عند العجز عن إنكارها باليد واللسان(٤).

وهذين الضابطين هما عماد المواجهة وميزانها الذي نزنها به وحتى لا نقع في كثير من الأخطاء.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / ج / ٤ / ٤٨.

(٢) الآداب الشرعية / ابن مفلح / ج / ١ / ٢٩٧.

(٣) زاد المعاد / ج / ٣ / ٥٠٦.

(٤) قواعد الأحكام / ج / ١ / ١١٠ - ١١١.

وبعد بيان الضوابط لا بد من تجهيز الكتائب.

صور المواجهة:

* قتل الشياطين:

وقتل الشياطين على حقيقتها لأنها إما صارت آلهة تعبد من دون الله كالعزى، أو كانت ذريعة للشرك والإفساد والإضرار بالمسلمين بشتى صور الإيذاء، وتطهير الأرض من الآلهة التي تعبد من دون الله وكذلك من المفسدين في الأرض هو من الجهاد الذي أمرنا به.

قال ابن هشام: حدثني أبي عن صالح عن ابن عباس قال: كانت العُزى شيطانة تأتي ثلاث سَمُرات ببطن نخلة، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة، بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال: «أيت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سَمُرات فاعضد الأولى» فأتاها فعضدها فلما جاء إليه قال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا. قال: «فاعضد الثانية» فأتاها فعضدها ثم أتى النبي ﷺ فقال: «هل رأيت شيئاً»؟ قال: لا، قال: «فاعضد الثالثة» فأتاها فإذا هو بحبشية نافشة شعرها، واضعة يديها على عاتقها تُصَرِّفُ بأنيابها وخلفها دُبَيَّةُ السلمي، وكان سادنها فقال خالد:

يا عُزّ كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حُمَمَة، ثم عضد الشجرة وأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى ولن تعبد أبداً»(١).

---

(١) السيرة النبوية/ ابن هشام ج/٢/٢٣٦، وشرح المواهب للزرقاني/ ج/٢/٣٤٨ والبداية والنهاية/ ابن كثير/ ج/٤/٣١٤ وذكرها ابن القيم في إغاثة اللهفان/ ج/٢/٢١٢ والقرطبي في التفسير/ ج/١٧/ ٩٩، ١٠٠، وشيخ الإسلام بن عبد الوهاب في مجموعة التوحيد/ ج/١/٣٨١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والصائل المعتدي يستحق دفعه سواء كان مسلماً أو كافراً، وقد قال النبي ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد» فإذا كان المظلوم له أن يدفع مال المظلوم ولو بقتل الصائل المعتدي فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمته؟ فإن الشيطان يفسد عقله ويعاقبه في بدنه وقد يفعل معه فاحشة إنس بإنس وإن لم يندفع إلا بالقتل... جاز قتله(*)(١).

قتل الطواغيت أعوان إبليس:

نجح إبليس في تجنيد عدد كبير من بني آدم للخدمة في معسكر الكفر الذي يقوده لمحاربة دين الله، وإن أكبر نجاحه - كما مر - مع الملأ ومنهم ينتقي أشدهم على الرحمن عتياً ليدعي الألوهية والربوبية ليسوم المؤمنين سوء العذاب...

وقد ينتقي همج رعاع لاخلاق لهم للغرض ذاته، وهؤلاء وأولئك هم الطواغيت، والطاغوت كافر لا شك في ذلك.

قال ابن القيم:

والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله(٢).

(*) ذكرت جريدة الأخبار المصرية/ في عددها الصادر بتاريخ/٢٨/٢/١٩٩٤م أنه قام سكان إحدى القرى الفيتنامية بقتل ستة أفراد من عائلة واحدة لاشتباههم في أن الشيطان يسكنهم، واستخدم سكان القرى الأسلحة الأوتوماتيكية والمناجل والسكاكين في ارتكاب جريمتهم!!

(١) الفتاوى ج/١٩/٥٦.

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين/ابن القيم/ج/١/٥٣.

وقد وردت نصوص شرعية وأوامر نبوية بقتل الطواغيت أعوان إبليس، ونمثل على ذلك بالآتي:

قتل كعب بن الأشرف.

وقبل بيان صفة الأمر بقتله وبيان سببه لا بد من بيان كونه طاغوتاً يستحق القتل.

ولقد ورد إثبات أن كعباً كان طاغوتاً عن عدد من الصحابة والتابعين وأهل العلم.

فقد قاله: ابن عباس[١]، وابن مسعود[٢]، والضحاك [٣]، ومجاهد[٤] ومقاتل[٥]، وعكرمة[٦] وقتادة،[٧] والكلبي[٨]، وذكره الزمخشري[٩].

وكان رجلاً من اليهود، وأمه من بني النضير، وكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ، وكان يشبب[١٠] في أشعاره بنساء الصحابة فلما

(١) الطبري/ج/٥/١٣١، ١٣٢، والبغوي/ج/١/٢٤٢، والسيوطي/ج/٢/٣٠٦، وابن عطية/ج/٤/١٤٨.

(٢) القرطبي/ج/٥/١٣٤، والشوكاني/ج/١/٥٢٥.

(٣) الطبري/ج/٥/١٣١، والماوردي/ج/١/٤٩٥، والقرطبي/ج/٥/١٧٠، والبغوي ج/٢/٢٣٤، والسيوطي/ج/٢/٣٢٠.

(٤) الطبري/ج/٥/١٣٤، السيوطي/ج/٢/٣٠٦.

(٥) البغوي/ج/١/٣١٥.

(٦) القرطبي/ج/٥/١٦١، السيوطي/ج/٢/٣٠٦.

(٧) الطبري/ج/٥/١٣٥.

(٨) الرازي/ج/١٠/٥٨٤.

(٩) الكشاف ج/١/٥٢٥.

(١٠) أي كان يغازل نساء الصحابة في شعره.

كانت وقعة بدر، ذهب إلى مكة، وجعل يؤلب على رسول الله ﷺ، وعلى المؤمنين، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال، فقال رسول الله ﷺ:

«من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله»؟ فانتدب له محمد بن مسلمة، وعباد بن بشر، وأبو نائلة واسمه سلْكان بن سلامة، وهو أخو كعب من الرضاع، والحارس بن أوس، وأبا عبس بن جبر، وأذن لهم رسول الله ﷺ أن يقولوا ما شاؤوا من كلام يخدعونه به، فذهبوا إليه في ليلة مقمرة، وشيعهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد، فلما انتهوا إليه، قدموا سلكان بن سلامة إليه، فأظهر له موافقته على الانحراف عن رسول الله ﷺ، وشكا إليه من ضيق حاله، فكلمه في أن يبيعه وأصحابه طعاماً، ويرهنونه سلاحهم، فأجابهم إلى ذلك ورجع سلكان إلى أصحابه، فأخبرهم، فأتوه، فخرج إليهم من حصنه، فتماشوا، فوضعوا عليه سيوفهم، ووضع محمد بن مسلمة مغولاً[1] كان معه، فقتله، وصاح عدو الله صيحة شديدة أفزعت من حوله وأوقدوا النيران، وجاء الوفد حتى قدموا على رسول الله ﷺ من آخر الليل وهو قائم يصلي[2].

قتل السحرة والكهان:

وعن الساحر وكونه طاغوتاً وردت روايات عدة عن:

---

(١) وهو سيف قصير، وقيل هو حديدة دقيقة لها حد ماض.

(٢) انظر فتح الباري/ ج/٧/ك/المغازي/ب/قتل كعب بن الأشرف/٤٠٣٧، ك/الجهاد/ب/الكذب في الحرب/٣٠٣١، ومسلم/ج/٢/ك/الجهاد/ب/قتل كعب بن الأشرف/ص/١٦٢ وابن هشام/ج/٢/٥١، ٥٨، وزاد المعاد/ج/٣/١٩١، والبداية والنهاية/ج/٤/٦.

ابن عباس[١]، وقتادة،[٢] والسدي[٣]، ومكحول[٤]، وأبي العالية[٥]، وابن سيرين[٦]، وذكره الخازن في تفسيره[٧].

وأما الكاهن فقد ورد تعريفه بالطاغوت عن:

ابن عباس[٨]، وجابر بن عبد الله[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، ومجاهد[١١]، وقتادة [١٢]وابن جريج[١٣]، وأبي العالية[١٤]،

---

(١) التفسير الكبير / الرازي / ج / ١٠ / ١٢٨.

(٢) الطبري / ج / ٥ / ١٣٠.

(٣) الطبري / ج / ٥ / ١٣٠.

(٤) البغوي / ج / ٣ / ٢٣٤.

(٥) الطبري / ج / ٣ / ١٩، والماوردي / ج / ١ / ٣٢٧، وابن عطية / ج / ٢ / ٢٨٣، والسيوطي / ج / ١ / ٥٨٤، ج / ٢ / ٣٠٨، وفتح القدير / ج / ١ / ٢٧٦.

(٦) ابن عطية / ج / ٢ / ٢٨٣، ج / ٤ / ١٤٨، والبغوي / ج / ٢ / ٢٣٤،

(٧) لباب التأويل / ج / ١ / ٣١٤.

(٨) القرطبي / ج / ٥ / ١٦١، السيوطي في الدر المنثور / ج / ٢ / ٣٠٧.

(٩) الطبري / ج / ٣ / ١٩، وابن عطية / ج / ٢ / ٢٨٣، والقرطبي / ج / ٥ / ١٣٠، والماوردي / ج / ١ / ٣٧٢، ٥٠١.

(١٠) الطبري / ج / ٣ / ١٩، الماوردي / ج / ١ / ٣٧٢، ٥٠١، وابن عطية / ج / ٥ / ١٦، والبغوي / ج / ٢ / ٢٣٤، والسيوطي / ج / ٢ / ٣٠٧، والآلوسي / ج / ٢ / ١٢، ج / ٣ / ٥٥ والنيسابوري في غرائب القرآن / ج / ٣ / ١٩، والرازي / ج / ١٠ / ١٥٤، ج / ٧ / ١٦.

(١١) الطبري / ج / ٥ / ١٣٠، الماوردي / ج / ١ / ٣٧٢، ٥٠١، ٥٠٢.

(١٢) الطبري / ج / ٥ / ١٣٠ والقرطبي / ج / ٥ / ١٦١.

(١٣) الطبري / ج / ٣ / ١٩، وابن عطية / ج / ٢ / ٢٨٣.

(١٤) القرطبي / ج / ٥ / ١٦١، والبغوي / ج / ٢ / ٢٣٤.

والسدي[١]، وعكرمة[٢]، ورفيع[٣]، وذكره البقاعي[٤].

ويحسن هنا قبل إيراد بعض صور وأوامر الشرع بقتل السحرة والكهنة أن نبين حكم السحر والكهانة وحدهما المقرر شرعاً.

حكم الساحر والكاهن:

قال شيخ الإسلام بن تيمية:

والسحر محرم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، بل أكثر العلماء على أن الساحر كافر يجب قتله[٥].

وقال صاحب المغني: وتعلم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم.

قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته[٦].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: والسحر كفر لأنه لا يتوصل إليه إلا بالكفر كما قال تعالى: ﴿**ما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**﴾[٧] [البقرة: ١٠٢].

وقال: الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات لا يجوز أن يصدقوا فيما

---

(١) الرازي/ج/١٠/١٥٤.

(٢) السيوطي/ج/٢/٣٠٧، والشوكاني/ج/١/٢٧٦.

(٣) الطبري/ج/٥/١٣٠، وابن عطية/ج/٢/٢٨٣، /ج/٤/١٤٨.

(٤) نظم الدرر/ البقاعي/ج/٤/٤٢، ج/٦/٢٠٠.

(٥) مجموع الفتاوي/ج/٢٩/٣٨٤.

(٦) المغني/ابن قدامة/ج/٨/١٥١/ طبعة مكتبة الرياض الحديثة.

(٧) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة/ ابن باز/ج/٢/١١٩/ طبعة الرئاسة العامة/ الطبعة الثانية/١٤١١هـ.

يخبرون به، فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب أو يستحضرون الجن ليستعينوا به علي ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علم الغيب(١).

وفي الفتوي رقم/ ٤٢٢٨ عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، والافتاء: تعاطى السحر حرام، بل كفر أكبر فلا يجوز أن يستعمل السحر.

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبد الله بن قعود،	عبد الله بن غديان،	عبد الرزاق عفيفي،	عبد العزيز بن باز(٢).

حد الساحر والكاهن:

قال ابن تيمية:

وأكثر العلماء على أن الساحر يقتل، وقد روي عن جندب رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً «أن حد الساحر ضربه بسيف»(٣) وعن عمر وعثمان وحفصة وعبد الله بن عمر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، قال بعض أهل العلم: يقتل لأجل الكفر، وقال بعضهم لأجل الفساد في الأرض، لكن جمهور هؤلاء يرون قتله حداً(٤).

صور قتل السحرة والكهان:

روي الإمام أحمد في المسند وأبو داود عن بجالة بن عبد الله أنه قال: «كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا

---

(١) مجموع فتاوي ومقالات متنوعة/ الشيخ عبد العزيز بن باز/ ج/٣/ ٢٧٠، ٢٧٥.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة/ ج/١/ ٣٧٧/ جمع وترتيب الشيخ أحمد الدويش.

(٣) ضعيف سنن الترمذي، وقال الشيخ الألباني: الصحيحُ أنه عن جند موقوف انظر ضعيف سنن الترمذي/ ص/١٦٨/ رقم/ ٢٤٤، /والحاكم في المستدرك/ ج/٤/ ٣٦٠/ وقال حديث صحيح غريب ووافقه الذهبي.

(٤) مجموع الفتاوي/ ج/٢٨/ ٣٤٦، ج/٢٩/ ٣٨٤.

ثلاث سواحر[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إن أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – سحرتها جارية لها، فأقرت بالسحر وأخرجته، فقتلتها، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فغضب، فأتاه ابن عمر رضي الله عنه فقال: جاريتها سحرتها، فأقرت بالسحر وأخرجته، قال: فكف عثمان رضي الله عنه، قال إنما كان غضبه لقتلها إياها بغير أمره[٢].

وقتل جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ساحراً كان عند الوليد بن عقبة[٣].

وفي قصة قتل العزى الشيطانة التي كانت تعبدها قريش، ولما علم سادنها – وهو دبية السلمي – علق السيف عليها وهو يقول:

أيا عز شدة شدي لا شوى لها ... على خالد ألقي القناع وشمري

أيا عز إن لم تقتلي المرء خالداً ... تبوئي بإسم عاجل أو تنصري

فقال خالد:

يا عُزى كفرانك لا سبحانك ... إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها ثم عضد الشجرة، وقتل دبية السادن[٤].

*** – هدم أماكن الشرك، وتحريق أماكن المعصية.**

لقد حذر النبي ﷺ أمته الشرك ووسائله، ما دق منه وما جل، ودعا الناس إلى التوحيد ونهاهم عن الشرك، وجاهدهم على ذلك حتى أزال الله

---

(١) أحمد/ ج/ ١/ ١٩٠، ١٩١، وصحيح أبو داود/ ج/ ٢/ ك/ الإمارة/ ب/ أخذ الجزية من المجوس/ رقم ٢٦٢٤.

(٢) رواه مالك في الموطأ/ ك/ العقول/ ب/ في الغيلة والسحر/ ج/ ٢/ ٨٧١.

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير/ ج/ ٢/ ٢٢٢/ رقم/ ٢٢٦٨.

(٤) انظر هامش ص (١٨٧).

به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك، وقد بعث السرايا في هدم الأوثان وإزالتها كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسير كما في حديث أبي الهياج الأسدي قال: قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألاتدع قبراً مشرفاً إلا سويته»(١) وقد بعثه النبي ﷺ يوم الفتح لهدم مناة.

وبعث خالد بن الوليد يومئذ لهدم العزى- وقد مر - وقطع السمرات التي كانت تعبدها قريش، وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات فهدمها، وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون لله، والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الأمر، واعتنو بإزالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله ﷺ(٢).

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، فجعل يطعن بطرف قوسة في وجوهها ويقول: ﴿**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**﴾ وهي تتساقط على رؤسها ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وأحرقت(٣).

قال ابن القيم:

ومشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أنداداً من دون الله أحق بالهدم وأوجب، فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم السابق فلو وضعا معاً لم يجز(٤).

---

(١) مسلم/ ج/٧/ك/ الجنائز/ ب/ الأمر بتسوية القبر/ص/٣٦.

(٢) مجموعة التوحيد/ ج/١/ ٣٨٠ - ٣٨١.

(٣) كتاب الأصنام/ عن إغاثة اللهفان/ ج/٢/ ٢٢١.

(٤) زاد المعاد / ج/٣/ ٥٧١.

وقال: لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة علي هدمها وإبطالها يوماً واحداً فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة، وهذا حكم المشاهد التي بُنيت على القبور التي اتُخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تُقصد للتعظيم والتبرك، والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة علي إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركاً عندها وبها والله المستعان(١).

وقال: ومنها - أي فوائد غزوة تبوك - تحريق أمكنة المعصية التي يعصى الله ورسوله فيها وهدمها، كما حرق رسول الله ﷺ مسجد الضرار وأمر بهدمه، وهومسجد يصلي فيه، ويذكراسم الله فيه، لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ومأوى للمنافقين وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله، إما بهدم وتحريق أو بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له.

وقال: وكذلك محال المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمارين وأرباب المنكرات، وقد حرق عمر بن الخطاب قرية بكاملها يباع فيه الخمر، وحرق حانوت رُويشد الثقفي وسماه فويسقاً وحرق قصر سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية، وهمَّ رسول الله ﷺ بتحريق بيوت تاركي حضور الجماعة والجمعة وإنما منعه من فيها من النساء والذرية الذين لا تجب عليهم كما أخبر هو بذلك(٢).

* **قتل جنود الشيطان من الحيوان.**

والشيطان له أيضاً أولياء من الحيوان، قدر الله لهم أن يكونوا من جنوده في حربه مع بني آدم، وقد جاء الأمر بقتل أولئك الأولياء ومنهم

---

(١) زاد المعاد/ ج/٣/٥٠٦.

(٢) السابق/ ج/ ٣/ ٥٧١ -٥٧٢.

الحيّات، وبعض أنواع الكلاب والفئران . . .

فروي البخاري في صحيحه عن عائشة أن النبيﷺ قال: «خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»(١).

وقد جاءت نصوص خاصة في كل نوع مما ذكره والتي يستعملها الشيطان في مواجهته معنا.

الفأرة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خمروا الآنية وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب واكفؤا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشاراً وخطفة، واطفئوا المصابيح عند الرقاد فإن الفويسقة ربما اجْتَرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت»(٢).

وروي أبو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ «إذا نمتم فاطفئوا سُرجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فيحرقكم(٣).

فهنا نجد تعاوناً من الفوَيسقة وهي الفأرة مع الشيطان الموجه لها لإحراق البيت، ولهذا جاء التحذير النبوي والتوجيه بأمرين:

الأول: إطفاء السرج قبل النوم أو كل ماله صلة بالنار يكون موقوداً لئلا يدل الشيطان وليه من الحيوان أو غيره لإحراق البيت.

والثاني: قتل هذا الحيوان وهوالباب الأولى لمنع اتكاز إبليس واعتماده

---

(١) الفتح ج/ ٤ /ك/جزاء الصيد /ب/ مايقتل المحرم من الدواب/ ١٨٢٩، /ج٦ /ك/ بدء الخلق ب/إذا وقع الذباب...وخمس من الدواب فواسق.. الخ/ ٣٣٢٤.

(٢) تقدم تخريجه ص (١٣٤).

(٣) تقدم تخريجه ص (١٥٥).

عليه في الإحراق.

الكلاب:

«لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم[(١)].

وقد بيّن ﷺ علة تحديد القتل للكلاب السود بقوله: «الكلب الأسود البهيم شيطان»[(٢)].

وعن جابر رضي الله عنه عند مسلم قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله، ثم نهى رسول الله ﷺ، وقال: «عليكم بالأسود البهيم – أي الذي لا بياض فيه – ذي النقطتين – أي الذي فوق عينيه نقطتان بيضاوان – فإنه شيطان»[(٣)].

ولعل إباحة قتل الكلب العقور في الحرم من أدل الشواهد على ضرورة المواجهة مع جنود إبليس في كل وقت وفي أي مكان لما في ذلك من صد ودرء لشره وشر أوليائه، ولما فيه أيضاً من حماية جانب المسلمين وسلامتهم.

---

(١) أبو داود مع عون المعبود/ج/٨/ك/الصيد/ب/ اتخاذ الكلب للصيد وغيره/٢٨٢٨، والنسائي/ك الصيد والذبائح/ب/صفة الكلاب التي أمر بقتلها،/٣٩٩١، والترمذي/ك/الصيد/ب/ من أمسك كلباً ما ينقص من أجره/١٢٠١، ١٢٠٥، وابن ماجة/ك/الذبائح/ب/النهي عن اقتناء الكلب/٢٥٩٦.

(٢) مسلم/ج/٤/ك/الصلاة/ب/سترة المصلي/ص/٢٢٧/، دون لفظ البهيم، وأبي داود مع عون المعبود/ج/١/ك/الصلاة/ب/ما يقطع الصلاة/ ٦٨٨/ وج/٨/ك/الصيد /ب/ اتخاذ الكلب للصيد وغيره/٢٨٢٩، والترمذي/ك/الصيد/ب/ ماجاء في قتل الكلاب/١٢٠١، وابن ماجة/ك/ الذبائح/ب/صيد كلب المجوس والكلب الأسود البهيم/٢٥٩٦.

(٣) مسلم/ك/القسامة والمزارعة/ب/ الأمر بقتل الكلاب/ص/٢٣٧.

الحيّات :

إن ارتباط الحيات بإبليس واضح جلي حتى صار من أعمدته ومن الدلائل الظاهرة على ولائها له .

فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لابن صائد : ماترى؟ قال : أرى عرشاً على الماء أو على البحر حوله حيات، قال رسول الله ﷺ : ذاك عرش ابليس»(١) .

والعرش غالباً لا يقرب منه ولا يحاط به إلا المقربون من صاحب العرش ولهذا جاء التوجيه النبوي والأمر الشرعي بقتل أعوان الشيطان «إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً فإن بدا لهُ بعدُ فليقتله فإنه شيطان»(٢) .

وروي البخاري ومسلم عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يخطب على المنبر يقول : اقتلوا الحيات، واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر فإنهما يطمسان البصر ويستسقطان الحبل»(٣) .

قال القاضي، وقال بعض العلماء : الأمر بقتل الحيات مطلقاً مخصوص بالنهي عن جنان البيوت إلا الأبتر وذا الطفيتين فإنه يقتل على كل حال سواء كانا في البيوت أم غيرها، وإلا ما ظهر منها بعد الإنذار، قال ويخص

---

(١) تقدم تخريجه ص (٩٩) .

(٢) مسلم / ج / ١٤ / ك / قتل الحيات وغيرها / ص / ٢٣٦,٢٣٥، وأبي داود مع عون المعبود / ج / ١٤ / ك / الأدب / ب / قتل الحيات / ٥٣٣٤، ٥٣٣٥، والترمذي / ك / الصيد / ب / قتل الحيات / ١٢٠٠ / ، مالك / ج / ٢ / ك / الجامع / ب / ماجاء في قتل الحيات / ١٧١ .

(٣) الفتح / ج / ٦ / ك / بدء الخلق / ب / قوله تعالى : وبث فيها من كل دابة / ٣٢٩٧، ومسلم / ج / ١٤ / ك / قتل الحيات / ص / ٢٣١ .

من النهي عن قتل جنان البيوت الأبتر وذو الطفيتين . . .

وقال النووي : وذا الطفيتين، قال العلماء : هما الخطان الأبيضان على ظهر الحية وأصل الطفية خوصة المقل وجمعها طفي شبه الخطين على ظهرها بخوص المقل، وأما الأبتر فهو قصير الذنب .

وقال نضر بن شميل : صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب لا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما في بطنها(١) .

والذي ينظر أو يشاهد الآثار الفرعونية يجد أن الحيات كانت آلهة تعبد من دون الله(*)، والسحرة التي أتى بهم فرعون اللئيم لمواجهة موسى الكليم سحروا أعين الناس وحولوا الحبال في أعينهم إلى حيات، ولهذا كانت الحجة الدامغة لهم هي من جنس ما حاولوا الخداع به، ولكنها حقيقة لا تخيل فكانت حية عظيمة تلقف ما صنعوا، مما يدل على المكانة التي مكن لها إبليس لهذه الحيات في نفوسهم وواقعهم، فكان الأمر بقتلها مواجهة حقيقة مع الشيطان وجنده من الجن الذين تمثلوا في هذه الحيات .

ومع نهاية الحديث عن قتل أعوان إبليسس من الحيوان ينتهي هذا البحث الذي حاولت فيه الربط بين إبليس وبين جنده وحزبه وبيان خططهم وأساليبهم في محاربة دين الله عز وجل والذي هو بيان سبيل المجرمين .

* * *

---

(١) شرح النووي على مسلم / ج / ١٤ / ٢٣٠ .

(*) ولم يقتصر ذلك على الفراعنة فقط، فنجد عند الإغريق إله الصحة ويرمز إليه بالحية والعصا وكان اسمه كما تقول الأساطير اسكولاب وكانوا يعتقدون أن الدواء في سم الأفعى وكذلك نجد الحية شعار الطب، والصيدلة، وطب الأسنان، والطب البيطري وكذلك توجد أيضاً في شعارات الجيش، ومنها الجيش الإسرائيلي وهو شعار فرق الإخلاء الطبي بالجيش اليهودي .

نقلاً عن : Remington's Rharma Caeticat Saena.

خاتمة

إن بيان سبل المجرمين هو من الضروريات الشرعية، وتتأكد هذه الضرورة حين تترائى لنا المواجهة عن بُعد، ينبئ عن قربها، وإلا فهي من السنن الربانية المقررة.

وحتمية المواجهة مع الباطل أمر قد لا ينكره أحد، ولكن الامر الأهم من ذلك هو الإعدا لهذه المواجهة والاستعداد لها مع هذا الإيمان بحتميتها وقدريتها.

ويرى كثير من العاملين في الدعوة إلى الله هذه المسلمة، ويعمل لها من وجه نظر تتطابق مع منهجه التربوي أو أسلوبه الدعوي، إلا أنه لا تخلو ساحة العمل الإسلامي من صدامات مع ذلك الاختلاف المنهجي في التغيير...

وهذا مع علمهم اليقيني أن الطواغيت - إنساً وجناً - والذين هم جبهة إبليس وحزبه على اختلافهم في عقائدهم الباطلة وأفكارهم الدنسة وتصوراتهم الخبيثة، قد أجمعوا أمرهم ثم أتوا صفاً لمجابهة حزب الرحمن، والدعاة إلى الله على توحد عقيدتهم وأفكارهم وتصوراتهم الصافية التي تصدر عن المنهج الآلهي والشرع المحمدي، تجد كل حزب بما لديهم فرحين، بل وترى التسفية والتضليل والتبديع...

وإن الواقع الراهن للصحوة الإسلامية، لا يتطلب ذلك التنافر، بل يوجب شحذ الهمم واستنفار الطاقات واستغلال جميع الإمكانات المتاحة ووضعها في خدمة ذلك الهدف الكبير، وهو المواجهة مع الباطل.

وقد يغفل البعض عن حاجة الأمة الإسلامية للتخلص من هؤلاء الطواغيت، ويغفلون كذلك عن حاجة الأمة إلى الصياغات الشرعية لما بعد المواجهة بل وإلى صياغات تعالج التوقعات الناتجة عن تلك المواجهة.

فحين يبدأ أصحاب كل منهج دعوي، سواء كان تربوياً أو بلاغياً أو جهادياً بهذه الصياغات، نجد الثمرة الناتجة عنها أولى من تلك المهاترات الجدلية والوصاية الدعوية من قبل البعض، فصياغة المنهج السياسي الخارجي، والاقتصاد المحلي والعالمي، والسياسات العسكرية، والسياسات الثقافية والأدبية والتعليمية التربوية، وصياغة المنهج الجهادي لما بعد التمكين بإذن الله، وغير ذلك من متطلبات الخلافة القادمة لهو خيرشاغل لتلك الطاقات التي تبعثر فيما لا جدوى من ورائه ولا نفع اللّهم إلا للشيطان وحزبه.

والعلم الشرعي عند سلف الأمة وأئمتها قد عالج كل هذه المتطلبات، ولكنها تحتاج إلى تحقيق مناطها، ليرتبط الخلف بالسلف ولتأصيل القضايا تأصيلاً منضبطاً لايخرج عن المنهج الشرعي...

ونسأل الله أن تكون هذه الدراسة المتواضعة والتي خضت فيها مع قصر الباع وقلة البضاعة قد سدت ثغراً أو صاغت منهجاً في المواجهة القادمة...

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

حسن أحمد قطامش

٢٠/١٠/١٤١٤هـ

* * *

ثبت المراجع(*)

١- القرآن الكريم.

٢- إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل/ محمد ناصر الدين الألباني طبعة المكتب الإسلامي/ بيروت/الطبعة الرابعة/١٣٩٩هـ.

٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان/ علاء الدين الفارسي/ مؤسسة الرسالة /بيروت/الطبعة الأولى/١٤١٢هـ.

٤- أحكام القرآن/أبي بكر الجصاص/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ مطبعة الأوقاف الإسلامية/ ١٤٠٦هـ.

٥- أحكام القرآن/ أبي بكر بن محمد المعروف بابن العربي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٦- الإسلام بين العلماء والحكام/ عبد العزيز البدري/ المكتبة العلمية.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة/ أحمد بن حجر العسقلاني/ دار الفكر/ بيروت.

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ محمد الأمين الشنقيطي/ مكتبة ابن تيمية/القاهرة.

٩- أعلام الموقعين عن رب العالمين/ ابن القيم الجوزية/ دار الجبيل/١٩٧٣م.

١٠- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان/ابن القيم الجوزية/ تحقيق - محمد حامد الفقي/دار المعرفة/ بيروت.

١١- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم/ تقي الدين بن تيمية/

(*) نعتذر لتعدد الرجوع لأكثر من طبعة في الكتاب الواحد، وذلك لكثرة التنقل، والرجوع لأكثر من مكتبة.

دار المعرفة / بيروت .

١٢- اقتضاء العلم العمل / الخطيب البغدادي / تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني / دار الأرقم / الكويت .

١٣- البداية والنهاية / ابن كثير الدمشقي / دار الريان للتراث / الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ.

١٤- تأملات في الأناجيل والعقيدة / د . محمد بهاء الدين النحال .

١٥- تاريخ الأمم والملوك / محمد بن جرير الطبري / دارالكتب العلمية / بيروت / الطبعة الثالثة / ١٤١١هـ.

١٦- تاريخ خليفة بين خياط / تحقيق د . أكرم ضياء العمري / دار طيبة الرياض / الطبعة الثانية .

١٧- التاريخ الكبير / أبي عبد الله إسماعيل البخاري / طبعة دار الكتب العلمية / بيروت .

١٨- التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور / مكتبة بن تيمية / القاهرة .

١٩- تفسير القرآن العظيم / ابن كثير الدمشقي / دار إحياء التراث .

٢٠- التفسير الكبير / أبو بكر الرازي / دار الكتب العلمية بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١١هـ.

٢١- تفسيرالكشاف / الزمخشري / دار الريان للتراث / الطبعة الثالثة / ١٤٠٧هـ.

٢٢- تلبيس إبليس / ابن الجوزي / دار المدني / جدة ١٤٠٧هـ.

٢٣- تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان / عبدالرحمن بن ناصر السعدي / دار المدني / جدة / ١٤٠٨هـ.

٢٤- جرح في قلب كشمير / د عبد الله الطيار / الندوة - العالمية للشباب الإسلامي .

٢٥- جامع بيان العلم وفضله / ابن عبد البر القرطبي / مكتبة ابن تيمية / القاهرة.

٢٦- جامع البيان / محمد بن جرير الطبري / مكتبة ابن تيمية / القاهرة.

٢٧- جامع البيان / محمد بن جرير الطبري / تحقيق محمود شاكر - خرج أحاديثه أحمد شاكر / دار المعارف / مصر.

٢٨- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله القرطبي / دار الفكر / بيروت.

٢٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول / ابن الأثير / تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط / طبعة الرئاسة العامة للدعوة والإدارات العلمية والإرشاد.

٣٠- جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر / د. صلاح الصاوي / دارالصفوة / القاهرة / الطبعة الأولى /١٤١٣هـ.

٣١- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء / أبي نعيم الأصبهاني / دار الكتاب العربي / الطبعة الخامسة /١٤٠٧هـ.

٣٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور / أبي الفرج السيوطي / دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى / ١٤١١هـ.

٣٣- الرجل الصنم كمال أتاتورك / تأليف ضابط تركي سابق / ترجمة عبد الله عبد الرحمن / مؤسسة الرسالة / الطبعة الرابعة١٤١٢هـ.

٣٤- الرحيق المختوم / صفي الدين المباركفوري / دارالقبلة / الطبعة السادسة / ١٤١١هـ.

٣٥- روح المعاني / أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي / دار الفكر / بيروت.

٣٦- دستور الأسرة في ظلال القرآن / أحمد فائز / مؤسسة الرسالة / الطبعة الثالثة / ١٤٠٣هـ.

٣٧- زاد المعاد في هدي خير العباد / ابن القيم الجوزية / تحقيق عبد القادر

وشعيب الأرنؤوط / دار الرسالة / الطبعة الأولى / ١٣٩٩هـ.

٣٨- كتاب السحر / الدميني / مكتبة المغني / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤١٣هـ.

٣٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة / محمد ناصر الدين الألباني / طبعة دار المعارف.

٤٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة / محمد ناصر الدين الألباني / طبعة دار المعارف.

٤١- سنن الدارمي / عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي / دار إحياء السنة النبوية.

٤٢- السنة / لابن أبي عاصم ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة / لمحمد ناصر الدين الألباني / المكتب الإسلامي / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٠٠هـ.

٤٣- سير أعلام النبلاء / الإمام الذهبي / دار الرسالة / بيروت / الطبعة السابعة / ١٤١٠هـ.

٤٤- السيرة النبوية / ابن هشام / دار الكتب العلمية / بيروت.

٤٥- شرح المواهب اللدنية / الزرقاني.

٤٦- صحيح البخاري مع فتح الباري / أبو عبد الله البخاري أحمد بن حجر العسقلاني / دار الريان للتراث / الطبعة الثانية / ١٤٠٩هـ.

٤٧- صحيح الأدب المفرد / أبو عبد الله البخاري / محمد ناصر الدين الألباني / الطبعة الأولى / دار الصديق / ١٤١٤هـ.

٤٨- صحيح الجامع الصغير وزيادة / السيوطي - الألباني / المكتب الإسلامي بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٠٦هـ.

٤٩- ضعيف الجامع الصغير / السيوطي- الألباني / المكتب الإسلامي / بيروت الطبعة الثانية / ١٤٠٦هـ.

٥٠- ضعيف الأدب المفرد / أبو عبد الله البخاري / محمد ناصر الدين الألباني / الطبعة الأولى / دار الصديق / ١٤١٤هـ.

٥١- ضعيف الجامع الصغير / السيوطي / الألباني / المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية / ١٤٠٦هـ.

٥٢- صحيح سنن الترمذي / الألباني / مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٥٣- صحيح سنن أبي داود / الألباني / مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٥٤- صحيح سنن ابن ماجة / الألباني / مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٥٥- صحيح سنن النسائي / الألباني / مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٥٦- صفوة الآثار والمفاهيم المشهور بتفسير الدوسري / عبد الرحمن الدوسري.

٥٧- الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار / وحيد الدين بالي / مكتبة الصحابة / جدة.

٥٨- صحيح الكلم الطيب / ابن تيمية - محمد ناصر الدين الألباني / المكتب الإسلامي / الطبعة الرابعة / ١٤٠٨هـ.

٥٩- صحيح مسلم بشرح النووي / مسلم بن الحجاج / النووي / دار الريان للتراث / الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ.

٦٠- الطاغوت / أحمد القطان - الزين.

٦١- الطبقات الكبرى / محمد بن سعد البصري / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٠هـ.

٦٢- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين / تقي الدين الفاسي / مؤسسة الرسالة بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٠٦هـ

٦٣- العقيدة في ضوء الكتاب والسنة / د.عمر بن سليمان الأشقر / مكتبة الفلاح / الكويت / الطبعة السادسة / ١٤١٢هـ.

٦٤- عودة الحجاب / محمد بن أحمد اسماعيل / دارطيبة / الرياض / الطبعة الخامسة / ١٤١٢هـ.

٦٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود / المباركفوي / مؤسسة قرطبة.

٦٦- عيون الأثر / ابن سيد الناس.

٦٧- عيون الأخبار / الدينوري / المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة / ١٣٨٣هـ.

٦٨- غرائب القرآن / النيسابوري.

٦٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية / محمد بن على الشوكاني / مكتبة ابن تيمية / القاهرة.

٧٠- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ / تحقيق محمد حامد الفقي / تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز / دار الكتاب الإسلامي.

٧١- فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء / طبعة الرئاسة العامة للدعوة والإدارات العلمية والإرشاد.

٧٢- الفوائد / ابن القيم / دارالكتاب العربي / بيروت / الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ.

٧٣- في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الشروق / بيروت / الطبعة السابعة عشر / ١٤١٢هـ.

٧٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنام / العز بن السلام / توزيع مكتبة ابن تيمية / القاهرة.

٧٥- كتاب العلم / أبي خيثمة / دار الأرقم / الكويت / تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني.

٧٦- الكامل في التاريخ / ابن الأثير / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٧هـ.

٧٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / علاء الدين الهندي / مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٠٩هـ.

٧٨- لسان العرب / جمال الدين محمد بن منظور / دار المعارف .

٧٩- لسان اللسان / تهذيب لسان العرب / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٣هـ.

٨٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / الحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي / دار الفكر بيروت / ١٤١٢هـ.

٨١- مجموعة التوحيد / محمد بن عبد الوهاب / ابن تيمية / مكتبة المؤيد / الرياض / تحقيق محمد بشير عيون / راجعه / عبد القادر الأرنؤوط / الطبعة الأولى / ١٤١٣هـ.

٨٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / مكتبة ابن تيمية / القاهرة .

٨٣- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . / عبد العزيز بن باز / طبعة الرئاسة العامة وإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد / الطبعة الثانية / ١٤١٠هـ.

٨٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / ابن عطية الأندلسي / مطابع قطر الوطنية .

٨٥- المحلى بالآثار / ابن حزم الأندلسي / دارالكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٨هـ.

٨٦- المستدرك على الصحيحين / الحاكم النيسابوري، وبذيله تلخيص المستدرك للإمام الذهبي / دار الكتب العلمية .

٨٧- المسند / أحمد بن حنبل / مؤسسة قرطبة .

٨٨- المسند / أحمد بن حنبل / تحقيق أحمد شاكر / دار المعارف / مصر .

٨٩- مشكاة المصابيح / التبريزي / تحقيق الألباني / المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة / ١٤٠٥هـ.

٩٠- المصنف / أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني / من منشورات المجلس العلمي / توزيع المكتب الإسلامي / بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٠٣هـ.

٩١- المصنف في الأحاديث والآثار / عبد الله بن محمد بن شيبة الكوفي / دار الفكر / بيروت / الطبعة الأولى. / ١٤٠٩هـ.

٩٢- معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول / حافظ حكمي / دار ابن القيم / الدمام.

٩٣- المعجم الصغير / أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / دارالكتب العلمية بيروت / ١٤٠٣هـ

٩٤- المعجم الأوسط / أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / مكتبة المعارف / تحقيق / د. / محمود الطحان / الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ.

٩٥- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك / ابن الجوزي.

٩٦- المنهج الحركي للسيرة النبوية / منير الغضبان / مكتبة المنار الرياض الطبعة السادسة / ١٤١١هـ.

٩٧- الموطأ / الإمام مالك بن أنس / دار الريان للتراث / الطبعة الأولى / ١٤٠٧هـ.

٩٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / برهان الدين أبي الحسن البقاعي / دار الكتاب الإسلامي، القاهرة / الطبعة الأولى / ١٣٩٦هـ.

٩٩- النكت والعيون / الماوردي / مكتبة المؤيد / الرياض / الطبعة الأولى / ١٤١٢هـ.

١٠٠- هكذا علمتني الحياة / د. مصطفى السباعي / المكتب الإسلامي / بيروت الطبعة الثالثة / ١٤٠٦هـ.

١٠١- وفيات الأعيان / ابن خلكان / دار الفكر / بيروت / ١٣٩٧هـ.

١٠٢- يوسف وامرأة العزيز / محمد علي قطب / مكتبة الساعي / الرياض.

* * *

الجرائد والمجلات

- جريدة الحياة/ تصدر عن شركة الحياة الدولية للنشر/ لندن.

- جريدة الشرق الأوسط/ تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة/لندن.

- جريدة الأهرام/ تصدر عن مؤسسة الأهرام/ مصر.

- جريدة الأخبار/ تصدر عن مؤسسة أخبار اليوم/مصر.

- جريدة الرياض/ تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية/ السعودية.

- مجلة المجتمع/ تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي/ الكويت.

- مجلة البيان/ تصدر عن المنتدى الإسلامي/ لندن.

- مجلة الإصلاح/ تصدر عن جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي/ الإمارات.

- مجلة الشهادة/ تصدر عن القسم الإعلامي لجبهة تحريك المجاهدين بجامو وكشمير.

- مجلة الوسط/ تصدر عن شركة الوسط المحدودة/ بريطانيا.

- مجلة المجلة/ تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة.

- مجلة الشرق الأوسط/ تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة/ لندن.

* * *



الفهـــرس

الموضــوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـوع | الصفحة

الفصل الثالث

ركائز المؤمنين في المواجهة

الموضوع | الصفحة

الموضـوع الصفحة

* * *

مكتب الصف التصويري والإخراج الفني بدار طيبة
الرياض -- شارع السويدي العام -- ت: ٤٢٥٣٧٣٧